

العنوان:	موقف عنييزة من حملات محمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى و الثانية خلال الفترة : 1230 - 1256 هـ - 1815 - 1840 م
المؤلف الرئيسي:	القحطاني، حسين بن عبدالله بن حسين
مؤلفين آخرين:	السلمان، محمد عبدالله(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2011
موقع:	القصيم
الصفحات:	1 - 206
رقم MD:	726652
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة القصيم
الكلية:	كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
الدولة:	السعودية
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	تاريخ السعودية، مدينة عنيزة، الأحداث السياسية، الدولة العثمانية، محمد علي باشا، حاكم مصر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/726652

الفصل الثاني

موقف عنيزة من حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود

أ- الحملة وطريقها إلى عنيزة .

ب - الوصول إلى عنيزة .

ج- مهمة الحملة

د- هزيمة الحملة في الحلوة

هـ- موقف حكومة الحجاز من الوضع في نجد.

و- فيصل يحاصر الرياض ومحاولة الصلح مع خالد .

ز- خورشيد يرتب لغزو نجد .

ح-حملة خورشيد في القصيم

أ –الحملة وطريقها إلى عنيزة

عاد محمد علي مرة أخرى للتدخّل في منطقة نجد ،1252هـ ولذلك أرسل محافظ الحجاز دوسري أبو نقطة إلى الإمام فيصل يطلب منه مطالب وخراجاً[1].

ولقد أثبتت الوثائق عدم قبول الإمام لهذه المطالب[2] وفي الوقت نفسه حاول تجنب الصدام العسكري ، إذ أرسل أخاه جلوي محملاً بالهدايا لمحافظ الحجاز أحمد باشا يكن ، مبدياً له رغبته في طيب العلاقة مع الباشا موضحاً له أوضاع دولته الناشئة[3].والراجح أن هدف الإمام فيصل من هذه الزيارة توسيط أحمد باشا في الأمر لعله يقنع والي مصر بأن الإمام لم يظهر أي نوع من التمّرد لكن أوضاع دولته لا تسمح في تلك الفترة بالاستجابة وتقديم هذه المطالب.[4]لذا لا يستوجب الأمر إرسال حملات عسكرية إلى نجد لإخضاعه

---

(1) ابن بشر، المصدر السابق، ج2، ص100 ،يذكر لوريمر ، تاريخ المملكة ،ص80 ،أن أحمد باشا حاكم الحجاز قد عيّن تاجراً بحرينياً جامعاً للضرائب في ميناء القطيف التابع للإمام فيصل مما جعل الإمام فيصل يقوم بطرده وتوترت العلاقات بين الطرفين.

(2) وثيقة دفتر (70)،معية تركي، رقم(407) ،بتاريخ 19 محرم 1252هـ.

(3) عبد الرحيم ،محمد علي وشبه الجزيرة، ج2، ص282 ، وانظر عبد الفتاح أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية، 48.

(4) علي بن إبراهيم العثمان ،المرجع السابق، ص 149.

وخصوصاً أن دولته لا تتعدى حدود نجد وبعض لأقاليم الشرقية لكن الذي يظهر أن هذه الوساطة لم تؤت ثمارها بدليل عزمه على تسير الحملة حيث عاد جلوي إلى أخيه فيصل بعد أداء فريضة الحج يحمل إليه خبراً سيئاً هو أن محمد علي قرر إرسال حملة للقضاء على الدولة السعودية من جديد ومن هنا أخذ الإمام فيصل يستعد لمواجهة هذا الخطر، فقد سعى إلى تسوية أموره مع الأطراف المعادية بالحسنى حيث هادن آل خليفة أمراء البحرين كما أرسل خادمه خير الله ليقبض زكاة عربان عنزة في القصيم دون إرسال قوة لذلك.[1] ويبدو أن محمد علي اتخذ قراره للقيام بعمل عسكري ضد الإمام فيصل ، ويعتبر أقدم تاريخ لهذا القرار التاسع من محرم العام 1252هـ/25أبريل1836م فقد جاء ذلك في رسالة بعث بها محمد علي إلى وكيل ناظر الجهاد يخبره فيها بأنه قرر إرسال إسماعيل بك إلى الحجاز لذا عليه أن يصرف النظر عن إرساله إلى الشام ويعين أحداً مكانه.[2]

وباستقراء الوثيقة يتضح لنا أن قرار إرسال خالد بن سعود لم يكن متزامناً مع إسماعيل بك ، فقد أشارت وثيقة أخرى إلى أن محمد علي كان قد قرر إرسال أحد رجال آل سعود المقيمين في مصر إلى نجد ثم عدل عن رأيه ولم تعيّن الوثيقة من هو الشخص[3] كما أشارت وثيقة أخرى إلى أن محمد علي أرسل إلى أحد موظفيه رسالة ورد فيها أنه من المصلحة إرسال خالد بن سعود بصحبة إسماعيل بك إلى نجد ، وبناء على ذلك منح رتبة القائم مقامية ووسام

---

(1) السلمان ، الأحوال السياسية، ص95 ؛وانظر عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ج2، ص283.

(2) دار الوثائق القومية ،القاهرة دفتر(77) وثيقة رقم (74) في 9 محرم 1252هـ 25ابريل1836م ،نقلاً عن العوهلي المرجع السابق، ص79، وانظر الشيخ رأفت غنيمي، التوجه العثماني نحو الخليج العربي ،من خلال محمد علي مجلس الوثيقة عدد (16) السنة8جماد الثانية1410هـ،يناير 1990م،ص68.

(3) دار الوثائق القومية القاهرة ، دفتر (74) معية تركي / وثيقة رقم (652) في 28 صفر 1252هـ، 13/يونيو 1836م، يؤكد المقبل ذلك بقوله إن محمد علي كان يعد خالد بن سعود لإرساله إلى نجد ليحكمها باسمه منذ أيام الإمام تركي بن عبد الله، وانظر عبد الله الحقيل ، الإمام فيصل بن تركي ، مجلة الحرس الوطني ، العدد (82)،ذو الحجة 1409هـ ،يوليو 1989م، ص 42، ولم يحل الحقيل إلى أي مصدر في معلوماته.

المرتبة ومنح راتباً مقداره ألفان وخمسمائة قرش[4] يؤكد ذلك عبدالرحيم عندما ذكر أن محافظ مكة أحمد باشا أثار أمام جلوي مسألة قرار إرسال حملة لغزو نجد والسيطرة عليها ثم تعيين خالد بن سعود حاكماً عليها.[1]وعلى كل حال فقد قرر محمد علي إرسال حملة إلى نجد ولكنه في هذه المرة سلك منهجاً جديداً ومغايراً للحملات السابقة حيث أشرك في هذه الحملة أحد أفراد البيت السعودي لكي يتم تعيينه حاكماً على نجد.[2]

ومما لا شك فيه أن تعيين خالد بن سعود سيكون تعيينا اسمياً لأنه من المرجح أن محمد علي رأى أنها أسرع وأسهل وسيلة لإخضاع النجديين لحكمه وهو أسلوب ماكر يؤثر سلباً على المقاومة المناوئة لقواته ، وهذا الأسلوب ليس جديداً على محمد علي في حروبه ، فقد أشرك دوسري بن عبدالوهاب أبو نقطه في حملاته الموجهة إلى منطقة عسير.[3]ويمكن أن نستخلص من هذا الموقف أن محمد علي لا يمانع في استخدام الحكام المحليين في حكم البلاد باسمه إذا أظهروا له الانقياد الفعلي؛لأنه بذلك يوفر جهوداً كبيرة ؛لذا يمكن أن يقال إنه كان يأمل ذلك في الإمام فيصل خصوصاً أنه منشغل بحروبه ضد منطقة عسير لكن فيما يبدولم يجد ذلك في الإمام فيصل فقرر حربه وإزاحته عن حكم نجد. أما ما يتعلق بعدد أفراد الحملة فقد اختلفت الآراء حولها فبعض المصادر المحلية تذكر أن عدد أفراد الحملة يصل إلى الألفين بين فارس

---

(4) دار الوثائق القومية ، دفتر (74) وثيقة رقم (751) ،في 18/ ربيع الأول 1252هـ، 2 يوليو 1836م، ويؤكد هذه الوثيقة وثيقة أخرى سابقة لها من نفس الدار دفتر صادر عابدين ،220س7/45/11 ، رقم(108) ،بتاريخ 9/ ربيع الأول 1252هـ، 23/يونيو 1836م، نقلاً عن عبد العزيز عبد الغني إبراهيم من وثائق الأرشيف المصري ص 158 ،حيث ورد فيها موافقة الجناب العالي على إرسال خالد بن سعود في معية إسماعيل ؛ وانظر أبو علية ،المخطوط التركي ، حجاز سياسياً حتنامه سي ، هامش 5 ،ص 63.

(1) عبد الرحيم ،محمد علي وشبه الجزيرة العربية ،ج 2 ،ص283.

(2) ابن عيسى ،تاريخ بعض الحوادث ، ص 118؛ وانظر الفاخري، المرجع السابق ، ص208 ؛ وانظر السلمان ، الأحوال السياسية ،ص95.

(3) العوهلي ، المرجع السابق، ص80.

وراجل[4] وتؤكد إحدى الوثائق نفس العدد [5] لكن هناك وثيقة ثانية تذكر أن عدد أفراد الحملة يصل إلى ألفين ومائتين[1] وهناك وثيقة ثالثة تذكر أن عدد أفراد الحملة ألفان وثلاثمائة وعشرة.[2] وأفراد هذه الحملة كانوا بالطبع خليطاً من العرب والأتراك[3] والألبان والمغاربة[4] وقد زود الجيش بثلاثة مدافع [5]وهكذا استعدت الحملة للانطلاق إلى نجد حيث كان محمد علي متحمساً للأمر ومستعجلاً له، ولقد دلت مجموعة من الوثائق على مدى تحمسه لهذا الأمر واستعجاله له.[6] ففي شهر ربيع الآخر من عام 1252هـ يوليو 1836م غادرت الحملة أرض مصر متجهة إلى أرض الجزيرة العربية تريد تحقيق أهدافها في نجد ، وكان على رأسها إسماعيل بك وفي معيتة خالد بن

---

[4] ابن بشر ، المصدر السابق ، ج2 ، ص102؛وانظر خالد محمد الفرج ، المنبر والعيان في تاريخ نجد، 342، أما ابن عيسى والبسام فيشير إلى أن الحملة عظيمة ومعها من العسكر مالا يحصى؛انظر ابن عيسى،المصدر السابق،ص118، والبسام التحفة،ورقة(132).

[5] دار الوثائق القومية ، القاهرة دفتر (74) ،معية تركي، وثيقثة رقم (485) في 9محرم 1252هـ، مايو 1836م.

[1] دار الوثائق القومية ، القاهر دفتر (71)، معية تركي ،وثيقة رقم (653) صفر 1252 هـ ،يونيو 1836م.

[2] دار الوثائق القومية،القاهرة دفتر (70)، معية تركي، وثيقة رقم (436) في 28 محرم 1252هـ، 14 مايو 1836م.

[3] دار الوثائق القومية ،القاهرة دفتر (71)معية تركي، وثيقة سابقة(653) في 1252هـ، يونيو 1836م.

[4] السلمان ،الأحوال السياسية ، ص95؛ وانظر السلمان ،الوجود الأجنبي في نجد و المقاومة السعودية له من عام 1235هـ -1324هـ ،(1815-1096م) ،مجلة العرب ،ج21 ، ص162 ،في 29 رجب / شعبان 1414هـ.

[5] دار الوثائق القومية،بالقاهرة دفتر (77) معية تركي،وثيقة رقم(103)،في 19 صفر 1252هـ،4يونيو 1836م،بينما يشير لوريمر ،في تاريخ المملكة في دليل الخليج ،إلى أن مع الحملة اثني عشر مدفعاً وأربعة هاونات ولم يشير إلى مصدر في ذلك.

[6] دار الوثائق القومية،القاهرة دفتر(74)معية تركي،وثيقة رقم(870)،في 13ربيع الأخر 1252هـ،27يوليو1836م، دفتر(220)عابدين،وثيقة رقم(151)،في 23/ربيع الآخر 1252هـ،7 أغسطس 1836م، دار الوثائق القومية،القاهرة دفتر(220)عابدين،وثيقة رقم(175)في7جمادى الأولى 1252هـ،19أغسطس 1836م، دار الوثائق القومية،القاهرة دفتر(220)عابدين،وثيقة رقم(151)في23ربيع الأول1252هـ،7 أغسطس 1836م، دار الوثائق القومية،القاهرة دفتر (220)عابدين، وثيقة رقم(199)بتاريخ 17جماد الأولى 1252هـ،19أغسطس 1836م، دار الوثائق القومية،القاهرة دفتر(220)عابدين،وثيقة رقم(219)،في 17رجب1252هـ،1836م.

سعود(7)وصلت الحملة إلى ينبع وعلم الإمام فيصل بقدومها وثبت عنده جدية محمد علي في السيطرة على نجد ؛ لذا أرسل مندوباً عنه يدعى محمد بن ناهض الحربي – وهو أمير قصر بسام جنوب القصيم وكان أميراً على عشيرته في عهد الإمام تركي(1)_ لمقابلة قائد الحملة إسماعيل بك وهو محمل بالهدايا؛ وذلك في محاولة للوصول إلى حل سلمي مع إسماعيل بك دون الاضطرار إلى الصدام المسلح بين الطرفين(2). والذي يظهر أن لمحمد بن ناهض مهمة أخرى غير التفاوض وهو التجسس والاستطلاع على الحملة(3) حيث يشير ابن بشر في معرض كلامه عن محمد بن ناهض فيقول " ورجع إلى فيصل وأخبره بتعيين خبرهم"(4) كما أشار إلى ذلك الذكير فقال: أرسل الإمام فيصل محمد بن ناهض يستطلع خبرهم ويتعرف على قواتهم(5) وهكذا يبدو دور القصيم جلياً منذ نزول الحملة أرض الجزيرة العربية فهذا ابن ناهض بصفته أحد زعامات القصيم هو المفوض من قبل الإمام للتفاوض مع قادة الحملة في محاولة لتجنيب البلاد هذه الحرب ،ومن المرجح أن هذا التفويض نابع من ثقة الإمام فيصل بمقدرته السياسية على التفاوض ، إلا الذي يظهر أنه لم ينجح في الوصول إلى حل مع القائد إسماعيل بك في ظل تعنته وإصراره على الحرب

---

(7) دار الوثائق القومية،القاهرة دفتر(220)عابدين،وثيقة رقم(135)، 3 ربيع الأخر1252هـ،17يوليو1836م،وتشير هذه الوثيقة إلى الشروع في إرسال العساكر المغاربة مع إسماعيل بك الذي سيغادر مصر قريباً وتؤكد وثيقة أخرى في نفس الشهر من السنة المذكورة دفتر(220)عابدين،وثيقة رقم(153)،23ربيع الآخر1252هـ،7أغسطس1836م،بأن الجناب العالي أرسل إلى سر عسكر الحجاز يخبره= =بأنه أصدر أوامره لإسماعيل بك عندما كان القاهرة بأن يستعين برؤساء الجنود الموجودين في المدينة إذا احتاج إلى قوة إضافية أي بمعنى أنه غادر القاهرة قبل هذا التاريخ للوثيقة السابق وبعد تاريخ الوثيقة التي قبلها؛وانظر فسليف، المصدر السابق ،ص 224؛وانظر العوهلي ،المرجع السابق، ص82.

(1) عبد الرحيم ،محمد علي وشبه الجزيرة العربية ،ج 2 ،ص224 ؛وانظر العوهلي، المرجع السابق، ص82.

(2) السلمان ، الأحوال السياسية، ص96 ؛وانظر الذكير ، مطالع السعود، الجزء المحقق ،هامش 6 ص 131.

(3) عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربي، ج2 ،ص 284 ؛وانظر السلمان، الوجود الأجنبي، ص162.

(4) ابن بشر، المصدر السابق، ج2، ص199؛ وانظر أبو علية ،الدولة السعودية الثانية، ص49.

(5) الذكير، المصدر السابق ،ص102.

حيث استمرت الحملة في طريقها إلى المدينة ومنها الحناكية[6] وعندما أيقن الإمام بتصميم محمد علي على حربه جمع رؤساء البلدان واستشارهم في الأمر فأشار عليه عبد الكريم بن رشيد بأن يسير إلى القصيم ويتمركز بها ويجعلها قاعدة عسكرية له إذ إن هذا العمل سيكون فيه دعم وتثبيت لأهل المنطقة ومنع لانضمامهم للحملة خصوصاً أن على زعامتها أحد أبناء آل سعود.[1] على هذا الرأي، استقر الإمام فيصل وخرج في شوال من عام 1252هـ يناير 1837م من الرياض ونزل الخفيسة[2] كي تجتمع قواته ومنها ارتحل إلى القصيم ونزل الصريف.[3]

ب- الوصول الى عنيزة

مكث فيصل معسكراً في الصريف مدة شهر حتى بلغه أن حملة إسماعيل وخالد قد وصلت إلى الرس فرحل في 25 ذي الحجة 1252هـ 1836م وقصد (عنيزة) ونزلها واستنفر أهلها فأيدوه وركب معه أميرها (يحيى السليم) ثم رحل إلى بريدة واستنفر أهلها فأيدوه وركب معه أميرها (عبدالعزيز بن محمد

---

[6] ابن بشر،المصدر السابق،ج2، ص102؛وانظر أبو علية المرجع السابق ، ص49، وهنا وقع أبو علية في خطأ حين ذكر أن الحناكية من أرض القصيم والصواب أنها بلدة حجازية تقع على الطريق بين المدينة والقصيم ؛ انظر عاتق بن غيث ، معجم معالم الحجاز،دار مكة 1399هـ، ج3، ص67؛ويذكر لويمر، تاريخ المملكة، ص80،= =أن الإمام فيصل حين أدرك عزم الباشا على غزو نجد أرسل إليه رسلاً يحملون خطابات الخضوع والولاء لباشا مصر لكن بعد فوات الأوان ونستنتج من كلامه أن فيصلاً كان رافضاً الخضوع قبل ذلك، وهذا يؤيد كلام السلمان السابق ،في كتابة الأحوال السياسية ، ص95، من أن المطالب التي طلبها محمد علي من الإمام فيصل والتي لم يفصح عنها ابن بشر، المصدر السابق ، ج2، ص100؛ هي الخضوع والولاء، أضف إلى ذلك أن هناك مرفقاً عربياً ملحقاً بإحدى الوثائق المحفوظة في دارة الملك عبد العزيز الرياض محفظة (261) عابدين، وثيقة رقم (314)، " 38حمراء "،بتاريخ 13 ربيع أول 1253هـ، 1837م، جاء فيها أن الإمام فيصل أرسل بزيع الحربي إلى أحمد باشا يشرح له الحال ويعلن الخضوع وأنه لا يريد أن يدخل في حرب مع محمد علي وأنه ينتظر الرد حيث أن بزيعاً لم يحضر إليه ،لأنه ترك القصيم وعاد إلى الرياض ثم الأحساء وأنه الآن في الأحساء وأن أهل البلاد يكاتبونه.

[1] ابن بشر، المصدر السابق ،ج2،ص103.

[2] ابن بشر، المصدر السابق،ج2،ص103، و الخفيسة هي عين ماء بالقرب من أطراف الدهنا ،انظر العبودي، المعجم الجغرافي،ج4 ،ص1342 – 1351.

[3] الصريف، ماء يقع شرقي القصيم يبعد عن بريده حوالي 27كم ، العبودي ،معجم القصيم ، 1346/4.

آل أبو عليان) ثم سار بجنوده كلها إلى (رياض الخبراء) وأقام فيها أكثر من عشرين يوماً معسكراً هناك أمام قوات إسماعيل وخالد في الرس التي كانت قد دخلتها قواتهم،دون أن تمدنا المصادر والوثائق بكيفية دخولهم لها وهل كان سلماً أو حرباً.ولعل الأهالي في الرس وفي منطقة القصيم عامة قد علمتهم التجارب السابقة بأن المقاومة العنيفة لا تحدث إلا خراباً ودماراً للبلدان دون فائدة كبيرة تجني منها وأن الأمر الحاسم هو بيد الجيش الكبير للحكومة المركزية المتمثلة من جميع المناطق.ويظهر أن فيصلاً يريد من مكوثه معسكراً هذه المدة في رياض الخبراء معرفة قوة عدوه عدة وعدداً عن طريق جواسيسه وعيونه ولعل الأخبار جاءته بتفوق عدوه عليه خصوصاً في العدة وما يصحبه من مدافع ومعدات ثقيلة تحدثت عنها وثائق تلك الفترة.ومما زاد الطين بلة فشل القوة التي بعثها فيصل لدخول بلدة (الشنانة) قرب الرس فاستشار الإمام فيصل قواده فأشار بعضهم عليه بأن يرحل بعدته ومئونته إلى (عنيزة) لتكون مركزاً للمقاومة على شكل غارات ضد العدو.[1]ويذكر ابن بشر أن الجيش أصابه الخلل عند الرحيل إلى عنيزة بسبب تفسير بعضهم هذا العمل بأنه هزيمة رغم محاولة فيصل تهدئتهم بالقوة.[2]لذلك حينما وصل فيصل إلى عنيزة رأى أنه لا فائدة ترجى من المقاومة في القصيم وأن عليه أن يعود إلى الرياض ليحصن المدينة وينظم حركة المقاومة فيها ومن سوء حظه أن الأمور في الرياض كانت على غير ما توقعه.[3]فقد وجد سكان العاصمة قد داخلهم الخوف وجاهره بعضهم بعدوانه ، ولعل ذلك بسبب فشله في مقاومة عدوه في منطقة القصيم في المقام الأول يضاف إلى ذلك عوامل أخرى مثل خوفهم من أن تعمل تلك الحملة ما فعلته الحملات السابقة من قتل وتدمير إضافة إلى

[1] السلمان، الأحوال السياسية ، ص96-97.

[2] ابن بشر، المصدر السابق، ج2 ،ص103.

[3] ابن بشر، المرجع السابق، ج2 ،ص90.

الدعاية التي بثها خالد بن سعود نفسه في المدينة ضد فيصل بن تركي.[4] لهذا رأى فيصل أن يغادر عاصمته على مضض قانعاً إلى حين بما أخذه من أمواله وعتاده وتوجه إلى الخرج جنوبي الرياض وبعد عشرة أيام توجه إلى الأحساء ليعيد ترتيب موقفه من جديد أما إسماعيل بك وخالد بن سعود فكانوا قد اتجهوا بعد رحيل فيصل بقواته من رياض الخبراء إلى الخبراء فاحتلوها ثم توجهوا إلى عنيزه فدافع عنها أهلها ، وبعد حصار المدينة اضطر أمير عنيزة "يحيى السليم" إلى الخروج إلى " إسماعيل بك " ومصالحته. أرسل " إسماعيل " قوة تتكون من أربعمائة فارس تحت قيادة "إبراهيم المعارك" ومعهم أمير عنيزة "يحيى السليم" وبعض رجاله الى حائل .[1]وعلى كل فقد مكث إسماعيل بك فترة في عنيزة يعيد ترتيب قواته من ناحية ويستقبل وفود المناطق التي جاءت إلى إسماعيل وخالد في عنيزة للمبايعة على السمع والطاعة .[2]

مما سبق يتضح لنا ان فيصل استمع الى نصيحة مستشاريه، لنقل المعسكر إلى عنيزة لأنها أقوى بلدان القصيم تحصناً على أن يقوم وأتباعه بشن هجمات على فرق البادية التي انضمت إلى القوات المصرية بهدف إضعاف القوى الرئيسية وحرمانها من خدمات أولئك الأعراب ثم يعود بعد ذلك ليعسكر في عنيزة أو بريدة وقد طبق الإمام هذا الرأي .[3]

---

[4] فلبي ،المرجع السابق، ص199.

[1] ابن بشر ،المصدر السابق ،ج2 ،ص91.92؛ وانظر مقبل الذكير، تاريخ نجد، ورقة(65)، ويذكر مقبل الذكير، أن يحيى قد أرسل إلى عبد الله بن رشيد ينذره بصول القوة إلى حائل فهرب واختفى قبل وصولها.

[2] السلمان ، الأحوال السياسية ،ص98.97

[3] ابن بشر، المصدر السابق، ج2، ص 103،العبودي ،المعجم، ج4 ،ص 1716– 1718 ،وذكر ابن بشر ومن نقل عنه خبر القبائل البدوية التي انضمت إلى الحملة وتابعتها لكن لم يفصح عن هذه القبائل هل هي من منطقة نجد وبالتحديد من القصيم أم هي من قبائل الحجاز أم من المنطقتين معاً وهل كانت مع الإمام ثم انقلبت عليه وتابعت الحملة أم هي أساساً تابعة للحملة وعلى الأرجح أن هذه القبائل من منطقة نجد وبالتحديد من القصيم وقد تابعوا الحملة بعد قدومها ولم يكونوا في معية الإمام ، يؤيد ذلك ما ذكره ابن بشر في كلام لاحق له عند ما تحدث عن الحملة عندما كانت متجهة لمحاربة مناطق جنوبي الرياض أن مضفاً المريخي رئيس عربان بريدة أشار على إسماعيل بك برأي فأخذ به كما يفهم من كلام ابن بشر أنهم ليسو في معية الجيش حال إشارة الرؤساء

ولقد وضح الاضطراب في صفوف قوات فيصل لأنهم ظنوا أن الانسحاب هزيمة عليهم لذا شدوا رحالهم للفرار بينما يؤكد الذكير أن الفزع والخوف قد دخل قلوب الجيش عندما أمرهم الإمام بالرحيل إلى عنيزة مما أدى إلى هذا الاضطراب.[1]

أما فسيليف فيذكر أن جند الإمام أساساً كانوا متخاذلين وتنقصهم إدارة القتال، لذا حين أمر بالرحيل أصابهم الخوف والذعر فتفرقوا عنه[2] وأمام هذه الاضطرابات أراد الإمام أن يعالج الموقف فأمر أتباعه بالقضاء على هذا الاضطراب ولو بلغ الأمر إلى استخدام القوة وقد تم ذلك وسكنت الاضطرابات[3] لكن يغلب الظن عندي أن استخدام القوة في القضاء على الاضطرابات أثر على موقف الإمام المواجه خصمه تأثيراً بالغاً فقد تأثرت نفسيات الجند بل ربما أصبحت منحطة ؛ لأنهم أدركوا أن في الجيش عناصر ضعف وربما عناصر ثورة قد تقف موقفاً معاكساً عند المواجهة،يؤيد ذلك تجدد الاضطرابات في اليوم التالي فحين أمر الإمام بعودة قواته إلى عنيزة وبقي هو ومجموعته من أتباعه ليؤدي دوره في مهاجمة البدو الذين انضموا إلى القوات إذا بفريق من أتباعه يتخاذل ويرفض القتال مما جعله يتخلى عن مهاجمة البدو ويلحق بقواته ويعود إلى عنيزة في 25 ذي الحجة 1252هـ 2 ابريل 1837م.[4] وكان هذا الانسحاب كما يقول فلبي بداية الانهيار لدولة الإمام.[5]

مهاجمتهم من قبل الإمام فيصل إذ لو كانوا مع الحملة لترتب على مهاجمتهم مهاجمة الحملة بأكملها ثم إن المصادر المحلية لم تشر إلى أنهم كانوا مع الجيش.

[1] الذكير ،مطالع السعود ،(الجزء المحقق)، ص233.

[2] فسليف، المصدر السابق ،ص 224

[3] ابن بشر ،المصدر السابق ،ج2 ،ص103.

[4] ابن بشر، المصدر السابق، ج2، ص103-104؛ وانظر عبد الرحيم ،محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ج1، ص285؛ وانظر البسام، التحفة ورقة (132)، بينما يذكر الفاخري، المصدر السابق، ص 208 ،أن تاريخ الرحيل هو 23 ذي الحجة 1250هـ ،30 مارس 1837م.

[5] فلبي ،المرجع السابق، ص199.

ولنا أن نتساءل عن مصدر هذا الاضطراب هل هو من القوات القصيمية التابعة للإمام وحدها؟ أو من القوات المشتركة بالكامل؟ وهل اشتركت عنيزة في الاضطراب أو لا؟ وهل كان لغيره دور في معالجة هذا الاضطراب أو لا ؟

بالرجوع للمصادر المحلية لا يوجد مصدر واحد يوضح هذا الاضطراب لكن يغلب الظن على أن جيش القصيم لم يقم بهذا العمل ،لأن الجيش بأكمله في هذه المرحلة كان يخدم إقليم القصيم من خلال الدفاع عنه أولاً ثم الدفاع عن حكومة الرياض ثانياً ثم إنه بهذا الاضطراب تسلم بلدهم للغازي المعتدي وهذا ما لا يقبله عقل ثم إنه من الحنكة العسكرية أن لو كان الاضطراب من القصيم لما لجأ الإمام إلى استخدام القوة لإخضاعهم ،لأنه بذلك سيفتح على نفسه جبهة جديدة تجعله بين فكي الأسد ،ومما يؤكد غلبة ظننا هو أن جيش عنيزة بعد رحيل الإمام رفع راية الحرب بمفرده ضد الغازي وهذا ما يؤكد أن عنيزة لم تقم بعمل كان من شأنه إضعاف المواجهة.

وعلى كل دخل الإمام عنيزة بقواته وكان في نيته أن يجعلها معسكراً تنطلق منه الغارات على أعدائه غير أنه بدخول عنيزة تغير الأمر[1] ولم تفصح المصادر عن سبب ذلك بوضوح غير أن الذكير أشار في معرض كلامه إشارة صغيرة حين قال إن السبب في تغيّر الموقوف يعود إلى ما قام به الجيش من الفوضى والاضطرابات.[2]

ويرجح الفرج أن الانقسام الذي حدث في الجيش رأى من خلاله الإمام أنه لا فائدة ترجى من المقاومة في القصيم فاستشار رؤساء قومه في الرحيل عن القصيم أو البقاء والمقاومة ومن المرجح أنهم أشاروا عليه بالبقاء والمقاومة، يدل على ذلك قول ابن بشر عن الإمام " اقتضى رأيه أن يرحل"[1] وهذا يؤكد أنه

---

(1) ابن بشر، المصدر السابق ،ج2 ،ص104.

(2) الذكير ، مطالع السعود، الجزء المحقق، ص 133.

(1) ابن بشر، المصدر السابق، ج2،ص. وانظر الفرج، المرجع السابق ، ص342,104.

ليس لمستشاريه رأي في الرحيل أو البقاء ،ولذا يبدو أنهم أشاروا عليه بالبقاء والمقاومة لأنه عندما كان معسكراً في رياض الخبراء واستشارهم وأخذ برأيهم قال عن ذلك ابن بشر "فأشاروا عليه "[2]

أما في هذا الموقف فقد اتخذ القرار بنفسه، لذا أذن للقوات المرافقة له أن ترجع إلى بلدانها وتدافع عنها وتوجه هو مع أهل الخرج والفرع إلى الرياض.[3]

ومن المرجح أن هناك مجموعة من الأسباب أدت إلى تفضيل الإمام عدم إتخاذ عنيزة قاعدة عسكرية لصد حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود، فلعل من أسباب الفشل موقف أمير الرس وأمير الشنانة المتخاذل بل الموالي للقوات الغازية بالإضافة إلى انضمام بعض فرق القبائل القصيمية إلى القوات المصرية أضف إلى ذلك الشعور السائد بعدم الثقة في القدرة على مواجهة الحملة.

وأخيراً لعل تراجع الإمام وحدوث الاضطرابات ووجود خالد بن سعود على رأس الحملة من عوامل الفشل.

ولما بلغ إسماعيل بك نبأ تراجع الإمام فيصل من رياض الخبراء قام بنقل قواته إلى الخبراء و يترجح أنه دخلها دون مقاومة فعسكر فيها ومنها تقدم إلى عنيزة بعد علمه بمغادرة الإمام فيصل لها ،والذي يظهر أن عيون أهل عنيزة نقلت تقدم القوات الغازية إلى أميرها يحيى السليم مما جعله يأمر بإغلاق أبوابها وتحصن بها وأمر الأهالي أن يستعدوا للحرب والمقاومة حيث وقعت بعض الاشتباكات بين الطرفين وعلى أثرها شدد إسماعيل بك الهجوم على أهل عنيزة كما فرض عليهم حصاراً مشدداً خصوصاً أن قواته لا تزال تتمتع بكامل قوتها، فهذا هو أول محك لها فهي لم تشترك في حرب منذ قدومها من مصر

---

[2] ابن بشر،المصدر السابق،ج2 ،ص103،يذكر الأنصاري،في تحفة المستفيد،ج1،ص152 ،أن أهل الرأي أشاروا عليه بذلك.

[3] الفرع / اسم يشمل حوطة بني تميم والحريق ونعام ومفيخر والحلوة والعطيان والقويع والصدر وهذه البلدان تقع جنوبي الرياض وتبعد عنها مسافة 240كم، العواهلي ،المرجع السابق ،هامش 46 ،ص85 ،والنظر الفرج، المصدر السابق، ص343.

مما اضطر أميرها إلى المصالحة ،فقد خرج وفي معيته رؤساء قومه وقابلوا إسماعيل بك وصالحوه وبذلك فتحت أبواب عنيزة بعد مقاومته وإن كانت ضعيفة هي مشرفة في ظل التخاذل النجدي، فدخلها إسماعيل بك وفي معيته خالد بن سعود وقد جعلها مركزاً ومعسكرا لانطلاق قواته ومن المرجح أن استسلام عنيزة ضعف من روح المقاومة المتوقعة في بريدة ،ولذا فضل عبد العزيز بن محمد آل أبو عليان الاستسلام وعدم المقاومة ليجنب بريده حرباً ربما تكون آثارها على البلدة أكثر من تأثيرها في سير الحملة حيث سار عبد العزيز من بريدة وقدم على إسماعيل في عنيزة وتابعه وأعلن خضوعه له وبذلك أعلنت بقية بلدان القصيم الخضوع والطاعة.[1]

وتم لإسماعيل بك وخالد بن سعود السيطرة الكاملة على إقليم القصيم وكان ذلك في المحرم من سنة 1253هـ ابريل 1837.[2]

وهكذا يترجح أن المقاومة التي أبدتها عنيزة هي المقاومة الأولى التي تواجه القوات الغازية منذ دخولها نجد ،وهذا يدلنا على عدم قبول عنيزة بشكل خاص والقصيم بشكل عام للغازي لكن الظروف اضطرتهم حيناً للتسليم بسلام وحيناً للمصالحة طلباً للسلام خصوصاً عندما ظهر من الإمام من التراجع ما فتّ في عقد المقاومة في الإقليم بشكل عام حيث تراجع من إقليم القصيم إلى العاصمة "الرياض" تم ترك الرياض عن غضب عندما بدرت من أهلها علامات العداوة له وعلامات الخضوع والاستسلام للغازي، وهكذا تمكن إسماعيل بك وخالد بن سعود من السيطرة على إقليم القصيم وخاصة

---

(1) ابن بشر، المصدر السابق ،ج2، ص105،وانظر بن عيسى، المصدر السابق، ص 119،وانظر الفاخري،المصدر السابق28.

(2) ابن بشر،المصدر السابق،ج 2ص 105،وانظر بن عيسى،تاريخ بعض الحوادث ،ص119،وانظر الفاخري، المصدر السابق، ص208،وانظر العوهلي،المرجع السابق، ص89-90،وانظر العثيمين ،تاريخ المملكة ،ج1، ص245،وانظر عبد الرحيم ،محمد علي وشبه الجزيرة العربية ،ج2 ،ص 228، وقد انفرد بذكر خبر مقاومة بريدة ودخولها في حرب مع إسماعيل بك حيث شدد عليها الحصار مما جعل أميرها يخرج إليه ويصالحه ،وقد أرجع كلامه إلى ابن بشر وهو لم يذكر ذلك.

عنيزة حيث إنها كانت بوابة العبور إلى العاصمة واتخذوها قاعدة عسكرية لهم في وقت فشل فيه الإمام فيصل أن يتخذها قاعدة عسكرية ومركزاً لصد الحملة ،وبذلك بدأ إسماعيل يحرك قواته من قاعدته لتحقيق أهدافها.[1]

ولاحكام السيطرة على الشام والقضاء على أي نفوذ عثماني في المشرق العربي خاصة بعد أن أصبح يسطر على المقدسات الإسلامية،[2] وبعد أن أصبح لديه جيش قوي مدرب على الطراز الفرنسي[3] ظهرت إمكاناته بشكل واضح خلال الحروب التي خاضها ضد القوات العثمانية في حرب الشام الأولى التي أظهرت رغبة والي مصر بالاستقلال وتكوين إمبراطورية كبرى.[4]

وإذا كانت الدولة السعودية الثانية ووسط الجزيرة العربية هدفاً رئيساً لمحمد علي باشا وقواته فإنها لم تكن الهدف الوحيد بدليل تحرك قواته على محاور عدة داخل الجزيرة العربية استهدفت إخضاع نجد وعسير واليمن لسيطرته.[5]

وبدليل إلحاح محمد علي باشا الشديد على جمع الجمال التي يعدها "دعائم الجيش" في حروب الجزيرة العربية من جميع القبائل في الحجاز ونجد وضرورة تزويده بالإعداد المتوقع الحصول عليها من الجمال ليتسنى له "معرفة الإجراءات " التي سيتخذها[1] الأمر الذي يدل على أن الجمال لم تكن غايته بل وسيلة لدعم قواته وتحركاتها في المحاور المحددة وفي ضوء ذلك صدرت الأوامر بتكوين حملة عسكرية تنطلق من مصر للقضاء على الدولة السعودية الثانية.

---

(1) دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، محفظة (262) عابدين ، نمرة 90 حمراء ، غرة شوال 1253هـ ، 1837م.

(2) معية تركي، دفتر(40) وثيقة(412).

(3) عمر طو سون ،الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي، ص46-47 ،القاهرة مكتبة مدبولي 1410هـ،1990م.

(4) مصطفى النحاس، جبر آل سعود في شبه الجزيرة العربية ،ص42 ،القاهرة دار الكتاب الجامعي 1406هـ-1986م، جبران شامية ، آل سعود ماضيهم ومستقبلهم،ص7 ،لندن ، مطابع الريس 1986م.

(5) سيديو ، ل / أ تاريخ العرب العام ص447، ترجمة عادل زعيتر، ط1 ، د.م.ن 1389هـ 1969م.

(1) محافظة الحجاز محفظة (1) وثيقة (28) حمراء، رسالة من أحمد باشا إلى وزير الداخلية بمصر حول طلب استصدار أمر لخورشيد باشا لإرسال كشوف الجمال المطلوبة، 11 ربيع الآخر 1253هـ.

ويلحظ ذلك من سياسة محمد علي الجديدة بتعيينه لخالد بن سعود ،لأنه كان مطيعاً لتعليمات محمد علي باشا وتنفيذ ما يريد حين تعهد باستعداده عند توليه زمام الأمور في نجد بمهاجمة عسير بجنود من هناك كما أن محمد علي باشا هدف من ذلك إلى زرع الشقاق بين أفراد الأسرة السعودية وضرب بعضها ببعض خاصة بعد فشل محاولته السابقة مع مشاري بن عبد الرحمن قاتل الإمام تركي بن عبد الله أواخر عام 1249هـ/1834م إضافة إلى إيجاد شرخ في صفوف الدولة السعودية الثانية حين يوالي بعض الأهالي الأمير خالداً ويوالي بعضهم الآخر الإمام فيصلاً وكلاهما من أسرة آل سعود التي تحظى بالولاء في المنطقة ليتمكن بسياسة التفرقة تلك من إخضاع المنطقة لنفوذه وهيمنته.[2]

ومن الراجح أن محمد علي باشا كان يعتقد أن إرسال خالد بن سعود ضمن الحملة يعطي عملياته في نجد نوعاً من الشرعية أمام الأهالي وصفة الشرعية كذلك أمام بريطانيا والقوى الأخرى[3] خاصة بعد أن أدرك من خلال حملاته السابقة أن أهل نجد لا يخضعون لأي حاكم أجنبي[1] فظن أن ذلك سيذلل الصعاب أمام الحملة[2] وأن الأهالي سيتقبلون الأمر ويطيعون خالداً.[3]

---

[2] دلال السعيد ، علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي، 1259هـ، 1282هـ، ص71 ،رسالة ماجستير قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى 1408هـ، 1988م.

[3] عايض الروقي ، حروب محمد على، ص267.

[1] مالك رشوان ، المرجع السابق ،ص 202.

[2] محمد الثنيان ، انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها ، ص248،مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد(1)، 1408هـ ، 1988م.

[3] عثمان بن بشر ، المصدر السابق ، 88/2 ، وقد يكون محمد علي باشا أخذ تلك الفكرة من خلال محاولة عجيل بن حمود بانتحال شخصية خالد بن سعود وترحيب الأهالي به،وقد حاول محمد علي باشا استخدام هذه السياسة في حملاته على عسير حين أرسل دوسري أبو نقطه ضمن الحملة المصرية إلى تلك المنطقة في نفس الفترة؛ موريس تاميزيه، رحلتة في بلاد العرب "الحملة المصرية" على عسير ،1249هـ، 1834م،ص35، ترجمة وتعليق محمد آل زلفة،ط1،الرياض مطابع الشريف، 1414هـ،1993م.

ولم يكن خالد بن سعود ليعين في منصب إمارة نجد ويرسل ضمن قيادة الحملة لولا ثقة محمد علي باشا الكبيرة به خاصة أنه كان يعمل كاتباً في ديوانه[4] موظفاً من الدرجة العالية منذ سنة 1250هـ/1835م مما ينفي ما ذكره بعضهم بأن خالداً كان سجيناً فأطلق سراحه لتلك الهمة[5].وليس من المعقول أن يكلف بتلك المهمة وهو معتقل سياسي لدى محمد علي باشا ، وتبين الوثائق المصرية أن محمد علي باشا اختار شخصية خالد بن سعود بناءً على تشاور مع حبيب أفندي مأمور ديوانه ثم صرف النظر عن ذلك إلا أنه عاد بتاريخ 28 صفر 1252 /1836 ليقرر إرسال خالد في مهمته تلك[6] وفي 8 ربيع الأول 1252هـ/1836م أصدر محمد علي باشا أمراً بمنحه رتبة "قائمقام" من الدرجة الثانية وإعطائه وسام تلك المرتبة[7] البالغة قيمته ألفاً ومائه خمسة وأربعين قرشاً عثمانياً [1] كما منح راتباً شهرياً مقداره 2500 قرش وذلك بمناسبة انتدابه إلى نجد.[2]

أما القائد الرئيس للحملة فقد كان إسماعيل بك مدير شرطة القاهرة الأسبق الذي يحمل مرتبة أمير آلاي "ميرالاي"[3] وقد بلغ قوام الحملة حسب الأوامر الأولى

---

[4] معية تركي، دفتر(74)وثيقة(751) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي حول منح الرتب لخالد بن سعود ، ربيع الأول 1252هـ.

[5] ج.ج لوريمر ، دليل الخليج، "القسم التاريخي"، 1637/3 ،ترجمة ديوان حاكم قطر.

[6] معية تركي، دفتر(74)وثيقة (652) رسالة من المعية إلى حبيب أفندي بشأن اختيار أحد أفراد آل سعود لحملة إسماعيل بك، 28 صفر 1252هـ.

[7] معية تركي، دفتر (74) وثيقة (699) والقائم قام ينوب عن أمير الآلاي وهو في المرتبة العاشرة من الرتب العسكرية في حكومة محمد علي باشا وشعارها عبارة عن هلال ونجمة من الذهب والنجمة مرصعة بالألماس ، عمر طوسون ، المرجع السابق،40-41.

[1] خديوي تركي، دفتر(855)،بند متفرقات من الديوان الخديوي إلى سر عسكر نجد حول سحب بعض لنياشين من خالد بن سعود ،22ربيع الأول 1255هـ، وتشير هذه الوثيقة إلى أن خالد بن سعود فقد ذلك الوسام في معركة الحلوة.

[2] معية تركي،دفتر(74)،وثيقة (751).

[3] معية تركي،دفتر(74)،وثيقة(489)،وشعار تلك الرتبة هلال ونجمة من الذهب مرصعين بالألماس ومرتبها يبلغ 8000 جنيه، عمر طوسون،المصدر السابق،40-41،كما منح إسماعيل بك لقب حاكم الدرعية " معية

بتكوينها ألفاً من الفرسان العرب في مصر وألفاً من المشاة المغاربة.[4] كما عين لخدمة إسماعيل بك ومرافقته وحمايته ثلاثين شاباً من الأغوات أقوياء البنية تمّ اختيارهم من قبل الباشا جاوثين[5] [6]كما ضمت الحملة مجموعة من الأتراك والألبان والبدو المصريين[7] على أن يضم إليها حين تنتقل الى الجزيرة العربية ثلاث مائة من المشاة المقيمين في الحجاز ومجموعة أخرى من المشاة سيتم إرسالهم من الشام[8] وزودت الحملة بعدد من المدافع[9] وطبيب[10] وخزينة خاصة بمصاريف الجيش[1] ورقيب على الغلال[2] وبعض الخبراء الزراعيين.[3] كما تم دعم الحملة بالأموال اللازمة التي ترسل تباعاً عن طريق المدينة المنورة[4] بجانب كميات كبيرة

تركي،دفتر(74)،وثيقة(870)،رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي،21 ربيع الثاني 1252هـ،رغم أن العاصمة السعودية كانت الرياض إلا أن الدرعية استمرت محتفظة بأهميتها لدى محمد علي باشا وقادته باعتبارها مهد الدولة السعودية التي تواجه مناوئة وعداء ذلك الوالي.

[4] خليفة المسعود ، موقف لقوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية، ص 229-230،وانظر دارة الملك عبد العزيز ، الرياض 1425هـ.

[5] الباشجاويش، رتبة عسكرية تعني رئيس فرقة، وهي في المرتبة الثالثة من الرتب العسكرية ، عمر طوسون 41.

[6] معية تركي،دفتر(74)،وثيقة(517)،رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي بشأن إرسال حسن أغا رئيس الأدلاء إلى نجد، 26محرم

[7] محمد السلمان، الأحوال السياسية ،ص 96؛وانظر ألكسي فاسيليف، المرجع السابق،ص 225

[8] معية تركي ،دفتر(74)،وثيقة(810)،رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، 3 ربيع الآخر 1252هـ.

[9] يقدرها بعض المؤرخين بستة عشر مدفعاً ،ج،ج لوريمر،المرجع السابق، 1637/3،وانظر بدر الدين الخصوصي،محمد علي باشا والخليج العربي، 1838-1840م،ص125،مجلة كليه الآداب والتربية ، جامعة

[10] محافظ الحجاز، محفظة(4) ،وثيقة (236)،زرقاء رسالة إلى أحمد باشا حول توفير الطبيب للحملة.

[1] محافظ الحجاز ،محفظة(3)، وثيقة (229) ،حمراء رسالة إلى وزير الداخلية حول ترتيب الشئون المالية للحملة.

[2] معية تركية،دفتر(70)،وثيقة(640)،رسالة من الجناب العالي إلى مدير المنوفية لإرسال رقيب الغلال لحملة إسماعيل بك، 21 ربيع الأخر 1253هـ.

[3] معية تركية، دفتر(77)،وثيقة(151)،رسالة من الجناب العالي إلى الباشا الوكيل حول إرسال إبراهيم الألفي مع إسماعيل بك ، ربيع الآخر 1252هـ، وتبين هذه الوثيقة أن محمد علي باشا حاول دعم الحملة ببعض قادته للإستفادة من خبرتهم الحربية رغم إصابتهم في معارك سابقة.

[4] محافظ الحجاز،محفظة(1)،وثيقة(55)،حمراء ،رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية حول نقل المؤن إلى إسماعيل بك غزة ،جماد الأولى 1253هـ.

من الحنطة والشعير والفول[5] والكساوي[6] وغيرها وقد أصدر محمد علي باشا أوامره إلى عباس باشا[7] وبقية موظفيه في مصر والحجاز ومحافظي جدة والمدينة المنورة وينبع بتوفير كل ما تحتاج إليه الحملة من مؤن وعتاد وذخيرة ورجال وحذرهم من أي تقصير.[8] لقد مكث إسماعيل بك فترة في عنيزة يعيد ترتيب قواته من ناحية ويستقبل وفود المناطق التي جاءت إلى إسماعيل وخالد في "عنيزة" للمبايعة على السمع والطاعة وكان على رأس هؤلاء وفد "الرياض" الذي وصل إلى "عنيزة" وبايع خالد بن سعود بالحكم كما أن إسماعيل أخذ يعد العدة للسير إلى المناطق التي لم تقدم ولاءها بعد وخاصة المناطق الواقعة جنوبي الرياض[1].

ونتيجة لتأخر إمداد الحملة بالمئونة فقد حرص إسماعيل على معرفة إنتاج المناطق – وأهمها منطقة القصيم بما فيها (عنيزة) من الحبوب ومقدار زكاتها لمعرفة ما إذا كان كافياً لمؤنة الجيش حتى تصل مئونته من الحجاز أو لا،وتذكر الوثائق أن إنتاج القصيم من الشعير والقمح قدر عام 1253هـ بخمسة آلاف وستمائة وستين أردبا (5660) ومقدار زكاتها نصف العشر من الإنتاج أي مائتين وثلاثة وثمانين أردباً (283) وتشير الوثائق أن هذا المحصول لمنطقة القصيم يعد قليلاً بالنسبة

[5] محافظ الحجاز،محفظة(1)،وثيقة(93)،حمراء،رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة بشأن إرسال الجنود والذخائر لإسماعيل بك،9صفر 1253هـ.

[6] محافظ الحجاز، محفظة(2)،وثيقة(106)،حمراء رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية حول تأخر إرسال الكساوي لإسماعيل بك،6جماد الآخرة 1253هـ.

[7] عباس حلمي بن أحمد طوسون بن محمد علي باشا من زوجته "بنباقادين" وقد ولد عباس في جدة عام 1229هـ،1813م إبان حملات محمد علي باشا ضد الدولة السعودية الأولى وقد كان عباس مقرباً من محمد علي باشا الذي منحه بعض الصلاحيات الإدارية وبعد وفاة عمه إبراهيم باشافي نهاية عام، 1264هـ، نوفمبر 1848م، أصبح والياً على مصر فبدأ سياسة جديدة تمثلت بتوطيد علاقة مع العثمانيين كما شهد عهد عباس تحسن علاقات مصر مع الدولة السعودية الثانية وكانت وفاته سنة ،1271هـ ، 1854م،طه حسين الدالي ،أوضاع مصر في عهد عباس الأول،1848-1854م،رسالة ماجستير،قسم التاريخ،كلية الأداب،جامعة القاهرة،1991م،5.2،17، 271،81.

[8] معية تركي،دفتر(70)،وثيقة(407).

[1] دار الوثائق بالقاهرة، محفظة (262) عابدين، وثيقة (104) من إسماعيل بك إلى محمد علي عن طريق سيره إلى الرياض ،وانظر ابن بشر، ج2 ،ص 92.

للأعـوام الأخـرى نظـراً إلى أن المنطقــة أصــابها جــدب وقلــة أمطــار في هــذا العام[2].وبعد ذلك اتجه إسماعيل وخالد بقواتهما قاصدين "الرياض" فدخلوها في صفر عـام 1253هـ ودخلـت المنـاطق كلهـا في الطاعـة مـا عـدا أهـل "الحريـق والحوطة"[3].

ونستنتج هنا أن إسماعيل بك قد أحكم سيطرته على القصيم بأكملها حتى حدا به الأمر إلى التصرف في محاصيلها عن طريق عساكره لتموين جيشه دون رقيب وهنا يصدق القول إن إسماعيل استكمل استعداداته معتمداً على إقليم القصيم بتموين الحملة بشكل أولي وفعلي وعلى بقية مناطق نجد بشكل ثانـوي[4]. ويـرى د/ عبـدالرحيم في كتابـة محمـد علـي وشـبه الجزيـرة أن مقـدار الزكـاة لهـذه المنطقـة لا بأس بـه كمـا يبـين ضـخامة إنتـاج المنطقـة مـن الحبـوب آنـذاك حيـث وسـائل الـري البدائية والطبيعية هـي السـائدة في تلـك الفترة،هـذا مع ملاحظة أن هذا العام كان عام جدب وإلا فإن التقدير كان سوف يرتفع عن ذلك بكثر، أما محاصيل المناطق الأخرى ، فقد أوكلا أمرها إلى رجال من أهـالي هـذه المنـاطق، وبذلك عمـل إسماعيل بـك وخالـد بـن سعود استعدادهما لاحتمالات الموقف ، ومواجهة الصعوبات التي قد يتعرضون لها".[1]

ج- مهمة الحملة:

تمثلت مهمة الحملة في القضاء أولاً على حكم الإمام فيصل بن تركي ومن ثم تعيين خالـد بـن سعود أميراً على نجد ،إضافة إلى العمل على توطيد سيطرة محمد علي باشا وسلطته في الجزيرة العربية والحصول بشتى الطرق على أكبر قـدر ممكـن مـن الجمـال الـتي تضـمن سـهولة تنقـل قواتـه في صـحراء تلـك

---

(2) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة(255) عابدين، وثيقة رقم(56)، في 45 محرم 1253هـ، من إسماعيل إلى صاحب الدولة ،ومحفظة (262) وثيقة (36) حمراء.

(3) السلمان، الأحوال السياسية في القصيم، ص 98-99

(4) علي بن إبراهيم العثمان، المرجع السابق.

(1) عبد الرحيم ، المرجع السابق، 290/1

المناطق[2] كلفت الحملة أيضاً بالاهتمام بالجوانب الزراعية، وتقدير زكاة المحاصيل، وقبضها من المزارعين، والاستفادة منها في مؤنة الجيش وإعاشته.[3] وبجانب ذلك كان على قادة الحملة استقطاب زعماء القبائل إلى جانبهم والاستفادة منهم في إخضاع بلداهم وضمان عدم مقاومتها للحملة ، وهذه هي النقطة بالذات هي التي قوت جانب الجيش المصري ، فقد أصبحت لديهم الخبرة في كيفية جذب واستمالة زعماء القبائل للوقوف في صفهم من خلال الحملات السابقة .[4] تحركت قوات الحملة عن طريق السويس —قنا– القصير– ينبع[5] بينما تم نقل قائديها إلى الجزيرة العربية عن طريق نوع سريع من السفن يسمى "قنجة"[1] لضمان راحتهما، وكان تحرك الحملة من القاهرة في ربيع الآخر من عام 1252هـ الموافق يوليو 1836م.[2]

استشار الإمام فيصل اتباعه في الخطوة التي يجب أتباعها بشأن هذه الحملة فبرز رأيان الأول أشار به الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ويقتضي إقامة الإمام وقواته في منطقة متوسطة بين الدهناء وبلدان نجد لتحقيق الأهداف التالية :

---

(2) محافظ الحجاز، محفظة (1) ،وثيقة دون رقم. محافظ الحجاز، محفظة (1)، وثيقة رقم (28) ،حمراء.

محافظ الحجاز ،محفظة (2) ،وثيقة (189)، حمراء رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية، 17 رجب 1253هـ.

(3) محافظ عابدين ،محفظة (255)،وثيقة 2/56 ،رسالة من اللواء إسماعيل بك إلى صاحب الدولة حول تقدير زكاة القصيم ،25 محرم 1253هـ.

(4) محافظ الحجاز ، محفظة(2)،وثيقة (189)،حمراء.

(5) عبد الفتاح أبو علية ، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 55.

(1) معية تركي،دفتر(4)،وثيقة(499)،رسالة من الجناب العالي إلى حسين أفندي بشأن إرسال إسماعيل بك وخالد بن سعود بسفينة سريعة ،9 ربيع الأول 1252هـ.

(2) هناء العوهلي ، المرجع السابق، ص 99.

1. البقـاء على مقربـة مـن رجـال الباديـة الـذين يتخـذون مـن الـدهناء مرعـى لمواشيهم ليتسنى له ضمهم إليه، وتأليف قلوبهم ،وضمان مساعدتهم له حين ينشب القتال.

2. الاستفادة من إمكانات الوشم وسدير الزراعية،والحصول منها على البر والتمر لتموين قواته.

3. الاستفادة من إمكانات الأحساء الزراعية في الحصول على الحبوب لنفس الغرض.

4. إرسال فرق من قواته إلى القصيم لتبقى مرابطة هناك مما يجعل قادة الحملة يحجمون عن التقدم إلى الوشم والعارض خوفاً من مهاجمة تلك الفرق لهم.

5. صعوبة وصول قوات الحملة إلى صحراء الدهناء،إذ إن الجنود سيلاقون الهلاك خلال يوم أو يومين من تقدمهم إليها.(3)

أما الرأي الثاني فقد أشار به عبدالله بن رشيد أمير جبل شمر، ويقتضي توجّه الإمام فيصل بقواته إلى القصيم لتحقيق الأهداف التالية:

1. الوصول إليها قبل أن يصل إليها قوات الحملة مما يمكنه من التصدي لها قبل اتخاذ مراكز لها في بلدان المنطقة التي تعدّ أول منطقة محصنة في طريق الحملة.

2. تدعيم موقف أهلها وتشجيعهم على الثبات في وجه الحملة ومقاومتها.(1)

3. أهمية القصيم الاقتصادية،واهتمام قادة محمد علي باشا بها وهو ما تمثل في اهتمام إسماعيل بك بها وحرصه على الاستفادة من إمكاناتها الاقتصادية(2) حيث كان يرى أن عنيزة هي "باب نجد".(3)

---

(3) عبد الرحمن بن قاسم ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ،ج9،ط2 ، الرياض ، دار الإفتاء ،1385هـ ،1965م،ص 227-228.

(1) عثمان بن بشر، المصدر السابق ،89/2.

(2) محافظ الحجاز، محفظة (1)، وثيقة (19) ،حمراء رسالة من الطائف إلى وزير الداخلية بمصر ، 8 ربيع الثاني 1253هـ

من المرجح أن الإمام فيصل قرر في البداية الأخذ بالرأي الأول حين تحرك بقواته من الرياض إلى الخفيسة[4] قرب الدهناء في نهاية شهر شوال 1252هـ / 1836م، إلا أنه وبعد أن مكث أياماً قرر الأخذ بالرأي الثاني الذي يقتضي التوجه للقصيم ومواجهة الحملة،وربما كان ذلك بتأييد الأكثرية في جيشه،كما أنه أراد الوقوف عن كثب على تحركات الحملة، وأياً كان الأمر فإنه اتجه إلى المنطقة واتخذ من الصريف[5] معسكراً لقواته وبقي هناك ما يزيد على الشهر.[6] وقد أدى طول إقامة الجيش السعودي في الصريف إلى تقدم حملة إسماعيل بك واحتلالها الرس في 2 من ذي الحجة 1252هـ / 1837م[1] ومن المرجح أن دخول الرس لم يكلف الحملة شيئاً من الناحية العسكرية ويعود ذلك إلى إدراك الأهالي من خلال التجارب السابقة عدم إمكانية المقاومة التي لن تحدث إلا الدمار للبلدة دون فائدة في ظل عدم وجود الجيش الرئيس للدولة السعودية الذي لا يزال في الصريف.[2]

د-هزيمة الحملة في الحلوة.

---

(3) محافظ الحجاز، محفظة (2)، وثيقة (173)،حمراء رسالة إلى وزير الداخلية،10 رجب 1253هـ.

(4) الخفيسة : موضع بين الصمان والدهناء شمالي ماء معقلا ، حمد الجاسر،المعجم الجغرافي ،618/2.

(5) الصريف : ماء شرقي القصيم على بعد 27 كيلو من بريدة ، وهو موضع قديم، محمد بن ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم)، ج4 ،الرياض دار اليمامة ، د.ت.ن.،ص 1346.

(6) عثمان بن بشر،المصدر السابق، 89/2.

(1) عبد الله محمد البسام، تحفه المشتاق ،ورقة 256.

(2) محمد السلمان ، الأحوال السياسية ، 96، ويعلل البعض خضوع الرس سلماً بإنحياز أميرها إلى جانب الحملة وتقديمه الجمال لإسماعيل بك ومرافقته له هناء العوهلي ، المرجع السابق ، 10-101 ؛غير أن الوثائق المصرية تؤكد على لسان أمير الرس علي البراهيم نفسه أن تقديمه الجمال للحملة كان بضغط من قادتها، ولم يكن لوحده في هذا الأمر إذ شاركه زعماء البلدان والقبائل الأخرى وكان ذلك بعد دخول الحملة لبلدان القصيم وتعذّر مقاومتها ،كما أن هذا الأمير بقي محجوزاً بالقوة لدى قادة الحملة لمدة ثلاثة أشهر لم يسمح له خلالها بالعودة إلى بلده مما يدل على أن ما حدث لم يكن برضاه،وانظر محافظ عابدين،محفظة(262)،مرفق عربي للوثيقة(98)،معلومات من مشايخ عربان نجد عن أخبارها بحضور خورشيد باشا، 27 جماد الأولى 1253هـ.

بعد نجاح إسماعيل بك وخالد بن سعود في السيطرة على عنيزة وبلدان القصيم بأجمعها،قرر إسماعيل بك الاستيلاء على منطقة الجبل،ووضعها تحت إدارة موالية للنظام الجديد،دون الإدارة الموالية لفيصل،وكان معه أمير الجبل السابق عيسى بن علي،فكلفه بمهمة الاستيلاء على هذه المنطقة،وأرسل معه قوة مكونه من أربعمائة فارس،تحت قيادة إبراهيم المعاون،يساندهم يحيى بن سليمان"أمير عنيزة" ورجاله،ونجحت هذه القوات في الاستيلاء على "حائل"،بعد هروب عبد الله بن رشيد وأعيد أمر إدارة الجبل إلى عيسى بن علي الموالي لحكومة الحجاز،وترك معه إبراهيم المعاون حامية مكونة من مائة رجل،لمساعدته في إقرار أمور المنطقة.[1] قام إبراهيم المعاون بجمع الزكاة من أهل الجبل،وكر راجعاً إلى إسماعيل وخالد في عنيزة،وكان أهل الرياض بعد خروج فيصل منها قد وفدوا على خالد في عنيزة،وبايعوه على الطاعة وأعلنوا ولاءهم له،ولم يعد خارجاً عن نفوذ خالد والقوة المساندة له،إلا أهل الخرج والفرع ومن والاهم،ثم اتجه إسماعيل بقواته نحو الرياض،فوصل إليها يوم 10 صفر 1253هـ/16مايو 1837م، فدخل إسماعيل وخالد القصر،وأنزلوا الجنود خارج البلد.[2] ووفد عليهما رؤساء البلدان وبايعوهما،عدا أهل الحوطة وأهل الحريق،الذين رفضوا الإذعان لحكم مشترك يجمع بين إسماعيل بك وخالد بن سعود وكتبوا إلى خالد يخبرونه أنه إذا كان الأمر له منفرداً،فهم له مطيعون،شريطة ألا يطأ ناحيتهم عسكر من الترك لارتباط هذا الصنف من

---

[1] عثمان بن بشر، المصدر السابق،ج2، ص72،وانظر صلاح الدين المختار،تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها،ج1،ص288،بيروت 1957م.

[2] دار الوثائق القومية،محفظة(262)،عابدين،وثيقة(104)،حمراء،من إسماعيل إلى الجناب العالي بتاريخ،19 صفر 1253هـ، 25مايو1837م،حيث ذكر في هذه الرسالة أنه وصل إلى الرياض في،10صفر1253هـ ،16 مايو 1837م، وذكر أن فيصلاً هرب من الرياض إلى الأحساء حيث جاء مشايخ القبيلة المسماة عجمان واصطحبوه إلى هناك بينما يذكر عثمان بن بشر، ج2 ،ص72 ،أن وصول إسماعيل وخالد إلى الرياض كان يوم السبت سابع صفر، 13مايو1837م،وكذلك ذكر الفاخري، المصدر السابق ،ص173،أن خالد بن سعود قدم الرياض لسبع خلون من صفر.

الجند في أذهانهم بذكريات مريرة،من أيام حربهم ضد إبراهيم باشا،وأصروا على قتال أي جند يأتون إلى مناطقهم فأغضب هذا الموقف ،إسماعيل بك،وقرر قتالهم ونهب أموالهم، فلم يسع خالد سوى التضامن معه ،وموافقته على رأيه،وقام خالد بإعلان النفير لقتال أهالي تلك النواحي.[3]

اجتمع إلى قوات إسماعيل بك وخالد بن سعود، كثير من رؤساء البلدان بمجموعات من أهالي بلدانهم، وسارت تلك القوات قاصدة بلدة الحلوة[1] ولكنها ضلت الطريق، ونزلت منزلاً صعباً في حرة قرب البلد وكان أهالي المنطقة قد كونوا تحالفاً ضم الحريق والحوطة والحلوة والنعام، لقتال قوات إسماعيل وخالد ومن والاهم، فصعد هؤلاء الحلفاء الجبل وأداروا القتال، ضد القوات، وتمكنوا من إنزال هزيمة ساحقة بها، تتضح فداحة هذه الهزيمة من التقرير الذي كتبه إسماعيل بك إلى محمد علي عن الصورة التي آل إليها موقف القوات بعد الهزيمة.[2] ماذا يفعل محمد علي ؟! قام بإحالة تقرير إسماعيل بك عن الموقف في نجد، إلى أبنه إبراهيم باشا، لإبداء الرأي فيه لسابق خبرته بالمنطقة، وعكف إبراهيم على دراسة التقرير، ثم كتب رأيه في الموقف، بناء على تقرير إسماعيل بك، وأكد لوالده أن إسماعيل بك إذا نجح في إنهاء مسألة هذه القرى، وهي القرى الواقعة وراء الدرعية، وعددها حسب تقديره عشرة قرى ، أو إحدى عشرة قرية " فعندئذ نستطيع أن نحكم بانتهاء مسألة نجد هذه انتهاء تاماً"،ولما كان إسماعيل بك، يرى في تقريره أن الذي يعوقه عن السيطرة على الموقف في هذه المنطقة، هو نقص المئونة والعتاد الذي لديه، حتى أنه لم يبق لديه شيء منها، وأن المتحصل له من زكاة نجد سنوياً، لا يكفي لقوت قواته إلا شهراً، وأن عدم وصول الإمدادات إليه سوف يعوق

[3] عثمان بن بشر، المصدر السابق ،ج2، ص73 ،وانظر أحمد عسه، المرجع السابق ،ص34.

[1] الحلوة : البلدة الثانية في حوطه بني تميم بعد الحلة ، وأعلى بلدة في وادي بربك . العبودي ، المعجم الجغرافي ،ج2 ،ص 338.

[2] عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، 291/2.

تنفيذ مهمته التي قاربت على النجاح، وهو الآن في موقف حرج للغاية.[3] قدر محمد علي خطورة الموقف فأصدر الأوامر إلى أمين شؤونه بالمدينة بإرسال الغلال وغيرها إلى الرياض ولكن الكميات التي أرسلت كانت أقل بكثير مما هو مطلوب وجاءت الأوامر إلى حكومة الحجاز للاهتمام الجدي بالموقف في نجد فبدأت هذه الحكومة تولي اهتماماً بالغاً لما آل إليه الأمر في نجد.[1]

هـ- موقف حكومة الحجاز من الوضع في نجد:-

شعر خالد بن سعود باليأس على أثر الهزيمة التي حلت بقوات إسماعيل بك ،وبدأ وكأنه يريد أن يتخلى عن متابعة الأمر إلى نهايته وبلغت أنباء ذلك الموقف تفصيلياً كلاً من حاكم عام الحجاز ومحافظ المدينة اللذين أدركا الأسباب التي أدت إلى تلك الهزيمة فعملا جاهدين على أن يعيدا للموقف حيويته وشهد كل من مكة والمدينة تحركاً ضخماً وجاداً لإنقاذ الوضع في نجد.أما في مكة فقد تحرك أحمد باشا حاكم عام الحجاز ووجّه إلى أهالي نجد خطاباً حاد اللهجة فيه الوعيد والتهديد مؤكداً لهم أن الهزيمة في الحروب ليست بمستنكرة ولا معيبة ، فالحرب كما هو معروف سجال يوم لك ويوم عليك وأن ظهر قواته التي في نجد محمي ولا خشية عليها "وأنتم عارفون أن ظهر إسماعيل بك والشيخ خالد قوي بالله عز وجل ثم بالعساكر العديدة والإمدادات المجيدة عساكر وليّ النعم".[2] ثم طلب منهم الدخول في الطاعة وعليهم أن ينظروا إلى الراحة التي ينعم بها الراعايا الذين تحت حكمه وأنه يضع أمامهم هذا الخيار، فإذا لم يرتضوا به، فإنه سوف يقضي عليهم بالقوة مؤكداً

---

[3] دار الوثائق القومية ، محفظة(262)،عابدين، المرفق العربي للوثيقة (36) ،حمراء ، نجم إبراهيم أدهم، أمين شونه المدينة، بتاريخ،10ربيع الثاني 1253هـ ،14يوليو 1837م ،محفظة (255) عابدين ،وثيقة 56/1 ،من إبراهيم إلى الجناب العالي ،بتاريخ محرم 1253هـ،6 مايو 1837م، وقد ذكر في هذه الرسالة الاحوال مصوراً سوء الوضع الذي أصبح يحيط به نتيجة لقلة الزاد قائلاً " وقد أخذتني الحيرة إذ لم يبق دانق واحد " بارة واحدة"

[1] عبد الرحيم ، المرجع السابق، 291/2.

[2] عبد الرحيم ،المرجع السابق ،291/2-292.

لهم أنه شرع في تجهيز عساكر متوجهة إلى ناحية نجد تفرح الصديق وتغم العدو وأن الذي عاقه عن إرسال قوات ضخمة من قبل إنما هو معرفته السابقة بطاعة أهالي نجد جميعهم، أما وقد بلغه ما حلّ بالقوات، وأدرك أن الوضع بخلاف ماكان يعتقد، فإنه لم يسعه إلا تسيير قوات ضخمة لمواجهة الحالة التي نجمت عن هذه المخالفة، وسوف يعمل على إنزال العقاب بكل من يستمر في العصيان، كل بالقدر الذي يليق بجرمه " إما دمه أو ماله أو نفيه من الأرض " وحمل أهالي كل ناحية من نواحي نجد مسئولية حفظ الأمن في ناحيتهم، أي فرض عليهم نظام التضامن في المسئولية وهو النظام الذي كان مطبقاً في الريف المصري " فيكون عندكم معلوم أنني ملزم على أهل كل ناحية من أهالي نجد، بحفظ دروبهم ومداركهم من السرقات، وكل من أهمل في مدركه، وحصل فيه شيء من الإخانة فنلزم خسارتها أهل المدرك، وهذا حكم القوانين السائرة في ساير محاكم أفندينا، فأنتم تكونوا كذلك، وتسلكوا على نهج الطاعة، بأحسن المسالك، لكي تسلموا من الوبال في العاجل والمنال، والله الهادي، وإليه سندي واعتمادي"[1] ولقد شهدت المدينة تحركاً آخر فقد جمع خورشيد باشا مجموعة من مشايخ العربان الذين وصلوا إليها في منزل " محمود أغا " محافظ المدينة، ووجه إليهم سؤالاً عن حقيقة الموقف في نجد والهزيمة التي حلت بقوات إسماعيل وخالد فشرحوا له حقيقة الموقف كما رأوه وكيفية وجود القبائل المعارضة وميلها إلى فيصل وأكدوا له أن عربان الرياض يرضون خالد حاكماً عليهم ، وأنهم عاهدوه على السمع والطاعة وأنه أمير عليهم من تحت يد إسماعيل بك وذكروا في إجابتهم أن العربان المخالفين واجهوا كثيراً من الصعوبات وهم في طريقهم من الرياض إلى المدينة.[2] وبهذا

---

[1] دار الوثائق القومية،محفظه(262)،عابدين ،المرفق العربي للوثيقة (54)،حمراء، الجواب المرسل إلى أهالي نجد بتاريخ ،3 جماد الأولى 1253هـ ، 25أغسطس1837م.

[2] دار الوثائق القومية ،محفظة(262)،عابدين،المرفق العربي للوثيقة(98)،حمراء، بتوقيع مشايخ عربان الرس وحرب والمدينة وبني عمر بالشرق بتاريخ،27جماد الأولى 1253هـ، أغسطس 1837م.

الاستجواب الذي تم في المدينة لمجموعة من مشايخ عربان نجد اكتملت صورة الموقف في نجد أمام حكومة الحجاز التي باتت تولي مسألة نجد اهتماما كبيراً.

تظهر الوثائق أن الهزيمة التي حلت بإسماعيل بك وخالد بن سعود في الحلوة والحوطة قد أثرت تأثيراً بالغاً في نفسية خالد بن سعود وإصابته باليأس ووقف أحمد باشا على هذه الحالة التي أصابت خالد بن سعود فأرسل إليه يشجعه ويذكر له أن الإمدادات الكافية لتثبيت أقدامه وتقوية مركزه ستصل إلى نجد قريباً ويؤكد له أن الهزيمة في الحروب ليست بمعيبة،لأن الحرب سجال فقال له "ياخالد أفندي إن الانكسار أمام العدو حيناً والتغلب عليه حيناً آخر لهو من الأمور المفرطة بإرادة الله وليس في ذلك ما يعاب عليه كما هو معلوم للجميع وأنه من المسلم به أن العسر يعقبه اليسر ، ولذا فليس ثمة ما يدعو إلى الأسف على ذلك فإن النقود والعساكر متوفرة لدينا في ظلّ وليّ النعم وسنمد الرياض بأكثر مما تحتاج إليه منها بإذن الله وقد أعددنا لهذه الغاية إلا لأي الحادي والعشرين وخمسمائة خيال ومدفع " وقد وضعت هذه القوى تحت قيادة الشريف منصور وأنها على أهبة الاستعداد للتحرك صوب نجد . ومما شجع أحمد باشا على اتخاذ هذه الخطوة علمه من مشايخ العربان النجديين الذين يفدون إلى الحجاز بأن القبائل النجدية تميل إلى خالد دون فيصل فيجب عليه أن يستغل هذا الولاء ويشرح للعربان أن حكم نجد سيكون خالصاً له دون أي حاكم آخر وأن قوات إسماعيل بك التي صحبته ليس لها من هدف سوى إرجاعه لوطنه، وعليه أن يذكر للعربان أنه سيكون هو الحاكم عليكم بعد الآن وعليهم أن تنقادوا لي وتطيعونني وإلا فهناك عساكر كثيرة العدد تزحف على الرياض فينالكم منا أشد العقاب[1]. أوضح أحمد باشا في رسالته هذه إلى خالد أن هذا الأسلوب في المعاملة يخيف العربان ويجعلهم يرتدعون عما يفعلون من أعمال مخالفة للأمن ويجب عليه ألا يتهاون مع العربان في المعاملة

---

(1) عبدالرحيم، المرجع السابق، 2/294-295.

وأن يتصرف معهم تصرف الحاكم القوي إلى أن تصل إليه القوات " وسوسوا الأمور ريثما تصل العساكر لأن العربان لا يدركون بنظرهم القصير عواقب الأمور فإن على الذين يحكمونهم أن يكونوا راجحي العقل فيعاملون البعض منهم بالعطف والكلام اللين والبعض الآخر بالخشونة والشدة والزجر ، الأمر الذي لايغرب عن فطنتكم."[1] أي أن أسلوب معاملة العربان يجب أن يقوم على استعمال الشدة في المواضع التي تتطلب الشدة واستعمال اللين في المواضع التي تتطلب اللين فلو أنه اتبع هذا الأسلوب مع العربان لحفظ نفسه والعساكر من شرهم ولارتفع قدره في أنظار عامة الناس وحصل على رضى الجناب العالي وفاز بالتقدير والتكريم فعليه أن يسير على هذا المنوال وأن يحيط حكومة الحجاز بكل الأمور التي يرى عرضها على الجهات المسئولة وبذلك ينجح في حكمه ومرتجاه.[2]

و- فيصل بن تركي يحاصر الرياض ومحاولة الصلح مع خالد:

استغل فيصل الموقف السيء الذي أحاط بقوات إسماعيل وخالد وذلك على أثر الهزيمة التي حلت بهذه القوات في كل من الحلوة والحوطة وحاول أن يسترد نفوذه على إقليم نجد ويطرد هذه القوات فخرج من الأحساء صوب نجد على رأس حملة كبيرة وعندما وصل إلى بلد الخرج أرسل يستنفر أهل الحوطة والحريق والفرع فوفد عليه أهل تلك البلاد وصحبهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وسار فيصل بهذه الجموع إلى المصانع فخرج إليه خالد وأهل الرياض والقوات التي في الرياض وحدث بين الطرفين قتال شديد كتب النصر فيه لفيصل وقواته،واتجهت فلول قوات إسماعيل بك وخالد بن سعود إلى منفوحة ، لأن قوات فيصل نجحت في أن تحول بينها وبين الرياض ،واتجه فيصل بعد

---

[1] عبدا لرحيم، المرجع السابق، 2/295-296.

[2] دار الوثائق القومية،محفظة(262)،عابدين، وثيقة(54)،حمراء الخطاب المرسل إلى القائم قام خالد أفندي بنجد بتاريخ ،23جماد الأولى 1253هـ، 25 أغسطس 1837م.

ذلك إلى الرياض وحاصرها ووصلته تعزيزات من أهل المحمل وسدير.[1] فقام إسماعيل وخالد بوضع قواتهما التي في الرياض تحت تنظيم محكم حتى تستطيع الصمود أما قوات فيصل المهاجمة فتم وضع أغا ومعه عدة رجال عند كل باب من أبواب الرياض ووزع نوبات الحراسة مع القيام بإجراء تغيير بين حراسة بين كل ناحية والأخرى، كل يومين أو ثلاثة خوفاً من وقوع الخيانة.[2]

حاصر فيصل الرياض ووقعت البلد تحت طائلة المجاعة والأزمة الاقتصادية بعد أن كاد ما فيها من الزاد والمتاع أن ينفذ، ومما أساء إلى وضع خالد خلال هذه الأزمة استعماله الشدة والقسوة مع أعوان فيصل من أهل الرياض وهدمه لبيوتهم واستعمال اخشابها وقوداً والتنكيل بهم فضاقوا به وبأسلوبه كما ضاق أهل الرياض بما عندهم من الناس الذين شعروا بأنهم ليسوا بذات فائدة لهم في حربهم فما كان منهم إلا أن فتحوا أبواب الرياض وأخرجوا هؤلاء الناس من بلدهم واستمر الحصار حتى 7 شعبان 1253هـ /6نوفمبر1837م[3] فقرر فيصل استعمال القوة في اقتحام المدينة وتسلق أسوارها وأعد للأمر عدته واشترك أغلب رجاله في هدم سور المدينة، واستبسلت القوات في الدفاع عن مدينة الرياض ، ووجد فيصل ورجالة مقاومة في بداية الأمر، وقد ضيق فيصل الخناق على المدافعين ، وكاد ان ينجح في الدخول ،ولكن وصلت تعزيزات ضخمة لهذه القوات تحت قيادة فهيد الصيفي رئيس سبيع ومعه قاسي بن غضيب وعربانه من قحطان وشنوا هجوماً قاسياً على فيصل وقواته ، فاضطر فيصل تحت شدة الهجوم أن يفك حصاره عن الرياض وأن يرحل في 12 شعبان 1253هـ / 11نوفمبر 1837م حيث نزل

---

[1] عبدا لرحيم، المرجع السابق، 296/2،

[2] عثمان بن بشر،المصدر السابق،ج2،ص75،وانظر صلاح الدين المختار،المصدر السابق،ج1،ص.293، وانظر إبراهيم جمعة،الأطلس التاريخي للدولة السعودية،ص106،الرياض ،دارة الملك عبد العزيز،1399هـ،1979م.

[3] عثمان بن بشر، المصدر السابق ،ج2،ص 76.

عند منفوحة.[1] ولقد نجت الرياض من هذه الأزمة التي أحاطت بها وكادت توقعها في يد فيصل مرة ثانية وبدأت بعد ذلك محاولة عقد صلح بين فيصل وخالد.

لقد تم تدبير لقاء بين فيصل وخالد على أثر مفاوضات بشأن عقد الصلح بينهما والتقيا في 17 شعبان 1253هـ / 16 نوفمبر 1837م في مكان بين منفوحة والرياض واستغرق اللقاء فترة تقرب من أربع ساعات امتدت من صلاة الظهر إلى بعد صلاة العصر وأبدى كل منهما رأيه في الموقف والأسلوب الأفضل لحقن الدماء وإقامة سلام دائم[2]. رأى فيصل أنه يجب على خالد أن ينسحب ومن معه من القوات من نجد لأن أهل نجد لا يرضون بحكم الترك ولا من يواليهم مطلقاً متغافلاً عن ولاء معظم القبائل النجدية لخالد بن سعود في تلك الفترة[3]. أما خالد فإنه رأى كما تذكر الوثائق أنه يجب على فيصل ومن معه من العربان أن ينسحبوا من نجد وأن يقنع فيصل بحكم الأحساء وأن يبقى حكم نجد له ومن معه من العساكر.

ولكن فيصلا" لم يقبل بقاء الجند في نجد وأصر لتنفيذ الاتفاق انسحاب القوات التي في معية خالد في الرياض إلى مكة فرفض خالد هذا الشرط الذي سوف يجعله إن قبله أعزل بدون قوة عسكرية تسانده وخشي أن يكون ذلك حيلة من جانب فيصل لتجريده من قواته ثم ضربه والتخلص منه ومن حكمه.[4] وتحت إصرار كل طرف من الطرفين على رأيه فشلت محاولات

---

[1] عثمان بن بشر، المصدر السابق، ج2،ص 76،وانظر أحمد عسه ،المصدر السابق، ص34 ،وانظر ابراهيم جمعة ،المصدر السابق، ص106.

[2] دار الوثائق القومية ،محفظة (262) ،عابدين، وثيقة (119)،حمراء، من خورشيد إلى محمد علي بتاريخ،20رمضان1253هـ،1837م،وانظر عثمان بن بشير، المصدر السابق،ج2،ص76.

[3] عبد الرحيم ،المرجع السابق، ج2 ،ص298.

[4] دار الوثائق القومية ،محفظة (262) ،عابدين، وثيقة (119)،حمراء، من خورشيد إلى محمد علي بتاريخ،20رمضان1253هـ،1837م،وانظر عثمان بن بشير، المصدر السابق،ج2،ص76.

الصلح الذي لم يقدر له أن يبرز إلى الوجود أو أن يرى النور.[1] لما فشلت محاولات ومفاوضات الصلح تجدد القتال بين الطرفين ولقيت الرياض من قبيلة سبيع التي تطلق عليها الوثائق " أن قبيلة سبيع[2] هم بدو أهالي الرياض " وكانت النجدات المرسلة من المدينة إلى الرياض في تلك الفترة قد وجدت طريقها إلى الرياض حتى وصلت القصيم وخشي إسماعيل بك وخالد بن سعود أن تتعرض هذه النجدات للأذى ، من جانب فيصل وأتباعه فقاما بالمشاورة مع فهيد الصيفي وقاسي بن غضيب حول الأسلوب الذي يمكن به إنقاذ هذه النجدات ، من خطر تعرضها للأذى من جانب القوة المعادية، ووصولها إلى الرياض سالمة، فاتفق الرأي بعد دراسة مستفيضة للموقف، على أن يقوم إبراهيم المعاون ومعه فهيد الصيفي وأصحابه، ويذهبون إلى القصيم لتامين جانب هذه النجدات ، ووصل إبراهيم المعاون وفيهد إلى القصيم وعلما هناك أن خورشيد قد وضع ترتيباً جديداً لمواجهة الموقف، والتغلب على هذه الأزمة، حيث بدأ يراسل فيصل بن تركي ويعمل على خداعه، حتى يتمكن منه ويسيطر على الموقف، فأرسل إليه الشريف عبدالله شريف ينبع، وزوده بهدية ومراسلات وخدائع إلى فيصل، وحثه على الرحيل والانسحاب من نجد، وأن ينهي الحرب ويقنع بحكم الأحساء، كما وعده خالد، فإن ذلك أبقي له وأجدى، وأدرك فيصل أنه لا يستطيع مجابهة الموقف لمدى طويل فقرر الانسحاب إلى الدلم[3] ولكنه تقاعس عن تنفيذ ذلك لفترة.[4]

ز- خورشيد يرتب لغزو نجد

---

[1] عبد الرحيم ،المرجع السابق، ج2 ،ص298.

[2] سبيع : قبيلة ذات فروع كثيرة ومنتشرة في بلدان نجد ، معجم القبائل، ق1 ،ص331-333.

[3] دار الوثائق القومية ،محفظة (262) ،عابدين، وثيقة (119)،حمراء، من خورشيد إلى محمد علي بتاريخ،20رمضان1253هـ،1837م،وانظر عثمان بن بشير، المصدر السابق،ج2،ص76.

[4] إبراهيم بن صالح بن عيسى ،تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ،ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من، 700هـ -1340هـ، ص 163،الرياض دار اليمامة ،1386هـ، 1966م.

أرسل خورشيد إلى فيصل رسالة يهدده باستعمال القوى ضده، إذا لم يستجب لداعي السلم، وينسحب إلى الأحساء، وقنع بحكمها، ففرر فيصل في البداية قبول طلب خورشيد بالإنسحاب إلى الأحساء،وحمل جميع ماله في الرياض من خزائن وغيرها، وأبلغ أعوانه أنه قرر أن يغادر الرياض في خلال ثلاثة أو أربعة أيام، قانعاً بأن يكون له حكم الأحساء ، فانسحب إلى منفوحة ومن هناك قرر أن يردّ على خورشيد فأرسل إليه أخاه جلوي بن تركي إلى المدينة لمقابلة خورشيد ومعه هدية من الخيل والركاب العمانيات والقيلان ،وطلب في رسالته من خورشيد، أن يعيد إليه أخاه جلوي بالأنباء التي تريحه حتى يعمل على حماية أطراف بلاده، من غارات العربان الذين يتربصون بها دائماً، حتى يصبح خالي البال من جهة هؤلاء العربان وانتقل بعد سفر جلوي إلى "الدلم".[1]وفي الدلم أعاد مراجعة موقفة بعد أن أخذ مشورة أعوانه، حول قبوله حكم الأحساء، فقط دون نجد ،ووجد إغراء بعض ابتاعه له، وبخاصة من أسرة آل عفيصان، هوى في نفسه، واقتنع بأن هذا الوعد له من جانب خورشيد، ما هو إلا خديعة مؤقتة لإبعاده عن نجد، ثم القضاء عليه نهائياً بعد أن يستقر الأمر لخورشيد في نجد، ولعل هذا ما قصده المؤلف النجدي عثمان بن بشر بقوله " وخدائع له أي خدائع خورشيد باشا لفيصل وذلك لأجل انسحابه إلى الإحساء، ثم القضاء عليه.[2] وقد أثبتت الأيام والأحداث أن ما أراده خورشيد حقاً، هو خداع فيصل وليس غير ذلك.

قام فيصل بترتيب أوراقه ومواقفه، فأرسل من قبله أمراء على النواحي، فأرسل عمر بن عفيصان إلى الإحساء، وحمد بن غيهب إلى عمان، وأمره أن ينظر في الثغور، كما أرسل الزهيري إلى وادي الدواسر، ومحمد بن عبد الله بن

---

[1] عثمان بن بشر،المصدر السابق،ج2،ص77،وانظر صلاح الدين المختار،المرجع السابق،ج1 ،ص295-296.

[2] عبد الرحيم، المرجع السابق ،ج2 ،ص 299-300.

جلاجل إلى الأفلاج، أي أنه عمل على الاحتفاظ بالمناطق الجنوبية من نجد تحت نفوذه إلى جانب الإحساء والساحل العماني.[1]

استشعر خورشيد من فيصل التقاعس في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، وأنه يعد نفسه للمعاندة والحرب، فقام " خورشيد " باتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ تخطيطه لمحاربة فيصل والقضاء عليه، فعمل على استكمال قوة الفرسان، وتأديب القبائل المحيطة والقاطنة حوالي الحناكية والمدينة لقيامهم بأعمال مخالفة، كما قام بإرسال قوة من الفرسان إلى الرس، لتكون في موضع قريب يستطيع الجيش منه أن يباشر عمله منذ البداية، كما يدخل الرعب في قلوب العربان المخالفين ويجعلهم في حالة من الخوف، ويجبر أهل القصيم على تقديم الخدمات اللازمة للجيش، بعد أن كانوا يأبون ذلك من قبل وأن هذا العمل على حدّ تعبير خورشيد باشا نفسه " فيه منافع أخرى عظيمة"[2]

في ظل هذه الظروف كانت الدولة العثمانية تسعى جاهدة كي تضع العقبات أمام خطط محمد علي التوسعية وتحركاته في شبه الجزيرة العربية لأن هذه التحركات لا توافق هوى في نفسها،ولذلك لم يكن منها إلا أن أوحت إلى علي باشا واليها على بغداد بالاتصال بفيصل بن تركي كي يشجعه على الاستمرار في حركته المناهضة لتوغّل قوات محمد علي باشا في نجد،استغل علي باشا فرصة وجوده في منطقة جنوب العراق للقيام ببعض الأعمال التأديبية ضد الخارجين من أهل بلدة لمحمره،وجهات السماوة لتأديب عربان ابن شلال والخزاعل،وترتيب الأمور عند عربان المنتفق والضفير،وأطراف البصرة،وكان ذلك في رجب 1253هـ أكتوبر 1837م.[1]

---

[1] عثمان بن بشر، المصدر السابق ،ج2 ،ص78 .

[2] دار الوثائق القومية،محفظة(262)،عابدين ،وثيقة(90)،حمراء،من خورشيد باشا إلى المعية السنة غرة شوال1253هـ،29ديسمبر1837م.

[1] عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 103.

وأرسل علي باشا إلى فيصل بن تركي رسالة لوم وعتاب يلومه أولاً على عدم مراسلته ويحثه على إعلان ولائه للدولة العثمانية حتى يحفظ إمارته " وتجب اتصال خدمتك ، لطرف الدولة العلية ، مدى الآباد "،وأنه من جانبه – علي باشا – على استعداد لتقديم كافة العون له،إذا ما أعلن ولاءه للدولة العثمانية "فما يتصور القصور عن مساعدة مقاصدك،ومساعفة مآربك بالكلية"[2] غير أن خورشيد باشا وصله نبأ هذا الاتصال الذي تم بين فيصل بن تركي وعلي باشا والي بغداد،فلم يطمئن لهذا الاتصال وأدرك أن هناك فخّاً أحكمت خيوطه بليل ،وأدرك الهدف المنشود من وراء هذا الاتصال من جانب "علي باشا" والي بغداد.[3] ولذلك فإن الرسائل التي حملها الشريف عبدالله من خورشيد باشا إلى فيصل، كانت إحداها تتعلق بهذا الاتصال طالباً منه توضيح الغاية والهدف من هذا الاتصال الذي أجراه والي بغداد به،ولذا فإن فيصلاً الذي كان قد قرر الانسحاب في ذلك الوقت إلى الأحساء،وقبل أن يعيد ترتيب موقفه، بادر بالمسارعة بإرسال نص رسالة علي باشا إلى خورشيد مع أخيه جلوي، كما أوضح له في رسالته الخاصة أن هذا الاتصال تم بناء على الصداقة والمعرفة السابقة التي كانت بينهما،ووقوف " علي باشا " السابق إلى جانب فيصل ضد العربان الذين كانوا يغيرون على أطراف بلاده ،مثل عربان بني خالد والضفير والمتنفق، وكفّه وردعه إياهم عن الأعمال العدوانية التي كانوا يقومون بها من حين إلى آخر وبذلك يتضح لنا أن فيصلاً أراد أن يبرىء نفسه من أية شبهة من جراء هذا الاتصال ،فطلب من خورشيد باشا أن يقف

---

[2] دار الوثائق القومية،محفظة(264)،عابدين، المرفق العربي .د.هـ. للوثيقة التركية(261)،حمراء من علي محافظ بغداد والبصرة إلى الأمير فيصل التركي بتاريخ،22شعبان1253هـ،21نوفمبر1837م.

[3] عبد الرحيم ، المرجع السابق،103،وانظر ،301/2.

بنفسه على حقيقة هذا الأمر من مشايخ العربان الذين وصلوا إليه في المدينة، ولكي يطمئن قلبه ،يقول " من بحضرتك من مشايخ العرب".[1]

غير أن خورشيد لم يطمئن لهذا الرد، وساورته الشكوك خاصة وأنه يعلم أن أسلوب الاتصال بالقوى المضادة لنفوذ محمد علي، في شبة الجزيرة العربية كان أحد الأساليب التي كانت تعتمد عليها الدولة العثمانية في حربها ضد محمد علي باشا.[2]

لقد كان لهذه الحملة العسكرية الأثر الكبير والخطير في مسيرة الأحداث التاريخية في وسط الجزيرة العربية، وعلاقتها بحكومة محمد علي في مصر وبخاصة أنها أول حملة يتمّ إعدادها وإرسالها من مصر منذ حملة إبراهيم باشا علي الدرعية سنة 1233هـ حيث أن الحملات كانت تجهز وتعدّ من الحجاز، وهذا إن دل على شيء وإنما يدل على مدى اهتمام محمد علي باشا بهذه الحملة، والعمل على توفير كل ما تتطلبه كي تنجح مهمتها وتحقق أهدافه في هذه المنطقة،وإذا كانت الحملة قد سلكت الطريق التاريخي نفسه لحملات محمد علي باشا (المدينة – الحناكية – الرس – عنيزة)،واتخذت المراكز العسكرية نفسها، فإنها قد حاولت كسب موقف الأهالي وزعماء القبائل بكل الطرق، حيث سلكت سبيل الإرهاب والبطش مع بعضها، بينما سلكت سبيل الإكرام والهبات مع بعضها الآخر، ولهذا تباين موقف ولاء القبائل وزعمائها تجاه هذه الحملة، ففي الوقت الذي اتصل كثير منهم بقادتها وعرضوا مساعدتهم حين وصلت الحملة إلى القصيم تغير هذا الموقف من قبل الزعماء أنفسهم حيث انضموا لقوات الإمام فيصل بن تركي بعد استقرارها بالأحساء كما أبرزت الحملة الأهمية الاقتصادية لمنطقة القصيم من خلال الإمكانات

---

[1] دار الوثائق القومية ،محفظة (264) عابدين، المرفق العربي،للوثيقة التركية(261) ،حمراء،من فيصل بن سعود إلى خورشيد باشا، بتاريخ ،19 محرم 1254هـ ،15 ابريل 1837م.

[2] عبد الرحيم ، المرجع السابق ،ج2، ص 302.

الزراعية التي تتمتع بها، الأمر الذي دعا إسماعيل بك للاعتماد عليها لتمويل قواته بعد توقف المساعدات التي كانت تأتيه من الحجاز.[1]

ولقد لعب ولاة محمد علي باشا في الحجاز- أحمد باشا في مكة المكرمة وخورشيد باشا في المدينة المنورة- دوراً كبيراً في مؤازرة الحملة ومساندتها منذ قيامها حتى خروجها من نجد، واتضح هذا الدور بشكل كبير بعد هزيمة الحملة في معركة الحلوة، فقد قام أحمد باشا بدور سياسي وإداري لتثبيت قادة الحملة وضمان استمرار موقف الأهالي المؤازر لها، كما قام خورشيد باشا بإرسال الإمدادات المادية إليها،على الرغم باصطدام تلك الإمدادات بالوضع المتوتر أمنياً للطرق إلا أنها ساعدت في أن يرفع الإمام فيصل بن تركي الحصار عن الرياض حين سمع بقدومها ووصولها إلى الرس ،وقد ظهر جلياً دور القوى المناوئة للدولة السعودية في دعم هذه الحملة أو الوقوف ضدها لسبب أو لآخر،ففي الوقت الذي غاب فيه دور أمراء بني خالد نتيجة لإبعادهم عن إمارة الأحساء ظهر دور أمراء الحجاز في تأييد الحملة من خللا شخصية " منصور بن زيد " الذي أرسله أحمد باشا إلى نجد بمنشور لأهلها يحثهم فيه على الوقوف بجانب الحملة بعد معركة الحلوة.[2]

كما أظهرت الحملة مدى الخلاف الذي اتسعت هوته بين محمد علي باشا والولاة العثمانيين.

وتبدو هوة الخلاف بين محمد علي والعثمانيين من خلال الرسالة التي بعثها والي بغداد العثماني على رضا باشا إلى الإمام فيصل بن تركي في 22 شعبان 1253هـ وجّه فيها عتابه إليه لعدم اتصاله به خلال الفترة التي شهدت قدوم

---

[1] خليفة المسعود، المرجع السابق، ص 259-260

[2] أما حكومة أمراء الحجاز المتمثلة في الأمير محمد بن عون فلم يبرز لها دور يذكر في هذه الحملة، وذلك بسبب احتجاز ابن عون لدى محمد علي باشا في مصر بعد فشل حملته مع أحمد باشا ضد عسير واختلافهما بعد ذلك وغضب محمد علي باشا منه، وقد استبقى ابن عون في القاهرة ،ولم يعد إلى الحجاز إلا بعد خروج قوات محمد علي باشا من الجزيرة العربية نهائياً عام،1256هـ،1840م ،خليفة المسعود، المرجع السابق، ص261.

الحملة وتعيين خالد بن سعود أميراً في نجد بدلاً منه كما أظهر له رغبته بالمساعدة وإعادة تنصيبه حاكماً في بلاده خاصة أنه يعدّ من المنتمين لجانب الدولة العثمانية، وتمنى له العون والنصر على قوات محمد علي باشا، وطلب منه الردّ برسالة يوضح فيها الطريقة المثلى للمساعدة التي يمكن تقديمها له من بغداد.[1]

ونفهم من ذلك أن الولاة العثمانيين في العراق دخلوا ميدان الحرب ضد قوات محمد علي باشا في نجد، بصورة غير مباشرة وبالوسائل السلمية الدبلوماسية، حيث قام علي رضا باستغلال نشاط قوافل العقيلات النجدية التجارية في العراق مستفيداً من علاقتهم الحسنة معه فكلف زعيمهم سليمان بن غنام بتوجيه رسالة إلى الإمام فيصل بن تركي يحثه فيها على مكاتبة حكومة بغداد، وإعلان الطاعة للسلطان العثماني ويبلغه أن علي رضا على استعداد تام لتقديم ما يحتاجه من مساعدات.[2]

إلا أن الإمام فيصلاً لم يرد على أي من الرسالتين بشيء[3] لإدراكه التام بعدم جدية علي رضا بتسليم مساعدات ملموسة ورغم ذلك لم يتوقف علي رضا عن محاولته لتحريض الإمام فيصل بن تركي على المواجهة حيث طلب من أحد كبار تجار نجد المقيمين في الكويت أن يكتب للإمام فيصل ليبلغه تمنياته له بالنصر في الحروب التي يخوضها ضد قوات محمد علي باشا، وفي الوقت نفسه يبدي الاستعداد لإرسال بعض الجنود إليه حين يتم له النصر، ويحثه على أن يكتب إلى والي بغداد ويطلب تزويده بأمر من السلطان العثماني يؤكد

---

(1) محافظ عابدين، محفظة(264)، مرفق للوثيقة (261)، حمراء، رسالة من علي باشا إلى فيصل بن تركي حول التعاون بينهما، 22 شعبان 1253هـ، وتؤكد إحدى الوثائق المصرية أن علي رضا وجه تلك الرسالة أثناء وجوده في جنوبي العراق . محافظ عابدين، محفظة (264)، مرفق عربي للوثيقة (261)، رسالة من فيصل بن تركي إلى خورشيد باشا حول مراسلاته مع والي بغداد وأمير عسير، 19 محرم 1254هـ.

(2) عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث ، ص209،القاهرة،دار الكتاب العربي،1387هـ ،1968م ، وانظر هناء العوهلي ، المرجع السابق، ص 154.

(3) محافظ عابدين ، محفظة (264)، وثيقة (261).

فيه تبعيته للدولة العثمانية، وإعلان ذلك الأمر يرغم قوات محمد علي باشا على الانسحاب من المنطقة لكونه لا يزال والياً خاضعاً للسلطان العثماني[1] إلا أن تلك الرسالة لم تصل إلى الإمام فيصل بن تركي، حيث وقعت بيد قادة محمد علي باشا، ووصلت إلى خورشيد باشا عن طريق المكلفين بمراقبة الرسل القاصدين مقر الإمام فيصل وحتى لو وصلت الرسالة إلى الإمام فيصل بن تركي، فإنه من المتوقع أنه سيستمر في تجاهل الرد على علي رضا، لأن تلك الرسالة أوضحت سلبيته بشكل أكبر حين أشار إلى أن إرسال جنود من قبله لدعم الإمام فيصل بن تركي سيكون بعد الانتصار على قوات محمد علي، أي في وقت هو ليس بحاجة إلى تلك القوات،والشيء المهم في هذه الرسائل أنها كانت مثار اهتمام خورشيد باشا، حين قدم بحملته التي كان من أولويات مهامها الحصول على الرسائل التي عدّها أدلة تخطيط عثماني سعودي ضد حكومة محمد علي باشا وقواته في الجزيرة العربية، بدافع المصالح المشتركة بين الطرفين، والواقع أن تلك الرسائل أوضحت مدى تباين مواقف الولاة العثمانيين ومحمد علي باشا في تلك الفترة من الدولة السعودية الثانية بعد أن كانوا قوة مناوئة تعمل متحدة للقضاء على أي وجود للدولة السعودية في شبه جزيرة العرب[2].

كما أظهرت هذه الحملة التعاون المشترك بين منطقة فارس ومحمد علي باشا حيث أرسل محمد رحيم الشيرازي من فارس رسالة إلى أحمد باشا والي الحجاز عرض فيها دعم إسماعيل بك بما يتراوح بين خمسة إلى عشرة آلاف خيّال يذهبون إلى نجد مع قائد يرسل خصيصاً لذلك، وذلك مساعدة لإسماعيل

(1) عايض الروقي،حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ،1247-1255هـ، 1839م،ص231، مكة المكرمة، جامعة ام القرى ، 1414هـ ،ص231.

(2) هناء العوهلي، المرجع السابق، ص156.

بك على إثر هزيمته في الحلوة، ووقوعه تحت الحصار الضارب من قوات الإمام فيصل بن تركي في الرياض.[1]

غير أن شيئاً من ذلك لم يحدث إذ أن حكومة محمد علي باشا كانت تعمل جاهدة لإنقاذ الحملة بقواتها الذاتية التي أرسلتها إلى نجد.[2] وبعد ذلك نتوصل إلى أن النتيجة النهائية للحملة فشل إسماعيل بك وخالد بن سعود في إنهاء حكم الإمام فيصل بن تركي، وهو هدف الحملة الرئيس على الرغم من النجاح الذي حققه في السيطرة على أجزاء كبيرة من دولته، إلا أن ذلك لم يكن نتيجة مباشرة للمعارك بقدر ما كان نتيجة لتخوف الأهالي وعدم مقاومتهم للحملة، كما أن سيطرتها على العاصمة والتقدم جنوباً أعقبهما هزيمة نكراء للحملة وخسارتها العدد والعدة، وارتدادها إلى الرياض لتبقى لفترة الزمنية التالية تعاني من حصار القوات السعودية التي قدمت بقيادة الإمام فيصل بن تركي لتصبح في موقع المهاجم، في الوقت الذي أصبحت الحملة فيه تعاني من ضائقة اقتصادية جعلت الجنود لا يجدون المأكل والمشرب، الأمر الذي جعل بعضهم يلجأ إلى نشاط تجاري يكفي قوته اليومي.[3] وعلى أية حال لم تنجح جهود محمد علي باشا في إنقاذ الحملة من ذلك الحصار الذي جاوزت مدته الشهرين، مما دعا قادتها إلى اللجوء للوسائل الدبلوماسية والتفاوض مع الإمام فيصل، كما أن رفع الحصار الذي تم قبيل تلك المفاوضات لا يعني أن قوات الحملة قد تخلصت مما تعانيه، بل إن الحصار عاد من جديد على أثر فشل المفاوضات الأمر الذي أكد لحكومة محمد علي باشا في الحجاز ضرورة إرسال حملة جديدة بعدد وعتاد أكبر من سابقتها

---

(1) محافظ الحجاز،محفظة (2)وثيقة (42)حمراء من محمد رحيم الشيرازي إلى أحمد باشا حول حملة إسماعيل،15شعبان1253هـ.

(2) خليفة المسعودي، المرجع السابق،ص263.

(3) محافظ الحجاز،محفظة(4)،وثيقة(38)،حمراء،رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول أخبار نجد،9محرم 1254هـ.

لتخليص إسماعيل بك وقواته، وإضعاف وترويض دولة الإمام فيصل بن تركي. ولذا نستطيع أن نقول: إن النجاح الذي حققه وكسبه محمد علي باشا من حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود تجلى وتمثل في تمكنها من تمهيد الطريق للحملة القادمة؛ كي تسيطر على وسط الجزيرة العربية مجدداً، وتعمل على التمكن من إيقاف نموّ الدولة السعودية الثانية والعمل على زعزعتها.

*حملة خورشيد في القصيم :-

سّلم " جلوي بن تركي " خورشيد باشا والى المدينة المنورة الرسالة التي أرسلها له أخوه فيصل، ويبدو أن جلوي اطلع هناك على استعدادات خورشيد للسير إلى نجد، وتفسير ذلك لا يحتاج إلى جهد فهو يوضح أن وعوده السابقة لأخيه فيصل ما هي إلا مخادعة حتى يتم له احتلال نجد بدون عناء، ثم ينقض على أخيه " فيصل بن تركي" في الإحساء ولم يكن هناك بُدّ من أن يساير " جلوي " حملة خورشيد إلى نجد حتى تسنح له الفرصة للهرب، كي يطلع أخاه " فيصل " على حقيقة الأمر الذي شاهده رأي العين، واستمر خورشيد في إعداده الكبير لحملته، وكان يرسل طلائع لحملته إلى المناطق التي تحت سيطرة الإدارة المصرية في نجد، وخاصة في " القصيم "[(1)] وقد فسرت الوثائق هذا العمل وكان هدفه جعل العربان المخالفين للإدارة المصرية هناك في حالة خوف، لإجبار أهل القصيم على تقديم الخدمات للجيش السابق واللاحق، وكانوا يأبون من قبل ذلك ولمنافع أخرى عظيمة كما تقول الوثيقة.[(1)]

غير أن خورشيد أرسل قبيل سيره بحملته إلى " إسماعيل بك " طالباً منه أن يسافر إلى مصر بناء على طلب من محمد علي باشا.

[(1)] السلمان ، الأحوال السياسية ،ص102-103.

[(1)] دار الوثائق، بالقاهرة، محظفة (262)،عابدين، وثيقة (90)،حمراء،من خو رشيد باشا إلى محمد علي (المعنية السنية) في شوال 1253هـ ،ومحفظة (262) وثيقة (369) في ذي الحجة 1253هـ،وانظر السلمان،المرجع السابق ،ص102-103.

ويذكر ابن بشر أن إسماعيل رحل إلى مصر ومعه ذرية العسكر المقتولين في معركة الحوطة والحريق.[2] كما أرسل خورشيد قوة جديدة تسبقه إلى الرياض كي تنظم أمورها بعد رحيل إسماعيل بك وسار خورشيد بعد استكمال إعداد حملته بالعدة والعدد والمؤن إلى الحناكية[3] حيث وفد عليه كثير من رؤساء قبائل شمر وحرب وعنزة وعتيبة وقحطان وسبيع معلنين ولاءهم وطاعتهم له[4]. خصوصاً بعد الحملات التأديبية التي شنتها قوات خورشيد ضدهم حيث أرسل قوة بقيادة " حسن اليازجي " لقتال القبائل حول الحناكية ونهبها وأمرهم أن يأتوا إليه بأذان من يقتلونهم دليلاً على صدق عملهم وتذكر الوثائق أن خورشيد وصلت إليه ثمانون من أذان المقتولين وأنه أرسلها إلى المدينة وسجلت في ديوانها.[5] وهذا العمل يطلعنا على نموذج من نماذج الوحشية التي صاحبت الحملات المصرية. والذي يظهر أن المصادر لم تحدد متى أوكلت مهمة قيادة الحملة لخورشيد باشا، لكن شيوع خبر تعيين خورشيد قائداً للحملة قد انتشر أثناء حصار الإمام فيصل للرياض[1] والمتفق عليه تاريخياً أن حصار الرياض بدأ من أول يوم جمادى الآخرة من عام 1253هـ سبتمبر 1837م إلى الثاني عشر من شعبان لعام 1253هـ سبتمبر 1837م[2] كما تشير وثيقة أخرى إلى وجود خورشيد باشا في المدينة يباشر مهام عمله في

---

[2] ابن بشر ، المصدر السابق ، ج2، ص79.

[3] تحدثت الوثائق عن لمدة الطويلة التي مكثها خورشيد في إعداد حملته خاصة بالمؤن والأطعمة لأن بلاد نجد كانت مجديه في ذلك الوقت محفظة (262)،عابدين،وثيقة رقم (270)،ذي القعدة 1253هـ.

[4] دار الوثائق،بالقاهرة،محفظة رقم(264)،عابدين، وثيقة (208)،وانظر عبدالرحيم، المرجع السابق، ص303.

[5] دار الوثائق، بالقاهرة محفظة(262)،عابدين،وثيقة رقم(266)،من خورشيد باشا إلى محمد علي،في24ذي القعدة 1253هـ

[1] وثيقة سابقة،محفظة(262)،عابدين،وثيقة(90)،حمراء،غرة شوال لعام1253هـ،29ديسمبر1837م.

[2] ابن بشر، المصدر السابق ،ج2 ،ص109-111

شهر رجب من عام 1253هـ / اكتوبر1837م[3] وبذلك يمكن أن يقال إن تعيين خورشيد باشا كان سابقاً لحصار الرياض فقد ورد في إحدى الوثائق المؤرخة في 14 جماد أول 1253هـ / 16 أغسطس 1837م وصف لخورشيد باشا بحكم دار الدرعية[4] كما تباينت الأراء حول مكان نشأة الحملة هل كان من مصر أم من الحجاز أم من المنطقتين معاً، ففي الوقت الذي تؤكد فيه بعض المصادر أن الحملة قدمت من مصر بقيادته[5] ،هناك مصادر أخرى تذكر أن منشأ الحملة الحجاز بقيادة خورشيد باشا[6] وترى أن معظم الجنود المشاركين في الحملة قدموا من مصر أما قائدها فقد كان في الحجاز فأوكلت له قيادة الحملة[1] بدليل أن الحملة مرت بمراحلها المعروفة في الحملات السابقة (ينبع – الحديدة – المدينة) وعلى كل فقد تم تعيين خورشيد باشا قائداً للحملة الجديدة المتجهة إلى نجد.

---

[3] دار الوثائق القومية ، القاهرة،محفظة (262)،عابدين، وثيقة رقم(189)،بتاريخ17رجب1253هـ،17أكتوبر 1837م،وانظر عبدالرحيم، المرجع السابق، ج2، ص850-851.

[4] دار الوثائق القومية، القاهرة ، محفظة(221)،وثيقة رقم (21)،14 جماد الأولى 1253هـ،16أغسطس1837م، نقلاً عن عبد العزيز عبد الغني ،من وثائق الأرشيف المصري في تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية، ص 183،مركز زايد للتراث والتاريخ الإمارات العربية، 1422هـ ،2001م.

[5] ابن عيسى،تاريخ بعض الحوادث،ص119،بينما تتحدث مصادر أخرى محلية وأجنبية عن مسير الحملة من الحجاز إلى نجد فقط دون الحديث عن نشأة الحملة. ابن بشر، المصدر السابق، ج2 ،ص112، الفاخري، المصدر السابق،ص209 ،الفرج ،المصدر السابق، ص343،البسام ،التحفة،ورقة 133،ابن ضويان، المصدر السابق، ص156،الذكير،مطابع السعود،ص139،فسليف،المرجع السابق،ص226،قلبي،المصدر السابق،202-204.

[6] دحلان ،خلاصة الكلام، ص312 ،وانظر العوهلي، المرجع السابق، ص104-105،حيث تذكر أن خورشيد باشا أحد الذين نقلوا أخبار هزيمة إسماعيل بك إلى المعية السنية في الرابع عشر من جماد الأولى لعام 1253هـ ،16أغسطس 1837م، ثم تؤكد كلامها بأنه لو كانت الحملة منطلقة من مصر لتحدثت عنها الوثائق من حيث استعدادها كما تحدثت عن غيرها من الحملات.

[1] دحلان، المصدر السابق،ص312،دارة الملك عبد العزيز الرياض ،محفظة(261)،عابدين،وثيقة رقم(311) ،أصلية (38)،حمراء، بتاريخ 11 ربيع الثاني 1253هـ ،1837م، وانظر عبد العزيز عبدالغني، المرجع السابق، ص 178،كما تشير الوثيقة المحفوظة في دارة الملك عبد العزيز الرياض ،محفظة (261)،عابدين،وثيقة رقم(363)،أصلية(31)،حمراء،13شعبان1253هـ،1837م، أن خورشيد باشا منذ سنتين مقيم بالحجاز بمعنى أنه منذ عام 1251هـ ،1835م.

فكان عليه لزاماً العمل على إعدادها وقد تطلب منه ذلك الكثير من الوقت والجهد كي تصبح الحملة جاهزة لمباشرة مهمتها وتقديم دورها.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا : ما موقف الدولة العثمانية من تطور الأوضاع في منطقة نجد بهذا الشكل؟

والإجابة لا تحتاج إلى جهد وعناء فموقفها ينطلق من مصلحتها فكان موقفها مؤيداً للإمام فيصل، ومعارضاً لمحمد علي باشا ، وعوداً على بدء قيام خورشيد بإعداد الحملة، يبدو أعظم مشكلة واجهته في إعداد الحملة هي توفير الإبل اللازمة لنقل العساكر والمؤن ،والذي يظهر أن حل المشكلة يتطلب منه مقابلة عبد الله بن رشيد – أمير الجبل – وقد تم اللقاء في المدينة المنورة في السادس عشر من رجب 1253هـ 16 أكتوبر 1837م ،وأسفر عن تعّهد عبد الله بن رشيد بتوفير الإبل اللازمة مقابل إعادته إلى إمارة الجبل، وبالإضافة إلى توفير الإبل يبدو أن خورشيد حقق نتيجة إيجابية أخرى لصالحه، حين عزل عبد الله بن رشيد عن فيصل، وبذلك أضعف موقف الإمام فيصل[2] ، وهكذا أمن خورشيد خطر الجبل وجعله بأميره الجديد يعمل لصالح القوات الغازية، كما أمّن منطقة القصيم، ووصلته الإبل، وبذلك استكملت الحملة استعدادها في الحناكية، ومنها توجهت إلى القصيم يصحبها جلوي بن تركي، وكان ذلك في الثالث من صفر لعام 1254هـ / 27 ابريل 1838م.[1]

وفي أثناء تدعيم فيصل لموقفه في الدلم، كان إسماعيل بك وخالد بن سعود يعملان على تنظيم أمورها في الرياض، ووفد عليهما أهل ضرماء والمحمل

---

[2] دار الوثائق القومية ،القاهرة محفظة (262)، وثيقة رقم(189)،نقلاً عن عبد الرحيم، من وثائق، ج1،ص580-581 ؛وانظر العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد ،ص149-151.

[1] ابن بشر،المصدر السابق، ج2،ص 116،وانظر الذكير، مطالع السعود، ص140،وانظر قلبي، المصدر السابق، ص204،وانظر عبد الرحيم، محمد علي، ج2،ص303،وانظر دار الوثائق القومية ، القاهرة محفظة (264)، عابدين، وثيقة رقم (129)،حمراء، (13)، أصلية،3صفر1254هـ،27إبريل 1338م.

والبلدان التي تليها وكان ذلك سنه 1254هـ/1838م وأعلنوا الطاعة، فأرسلا معهم عمالاً يقبضون الزكاة من أهالي هذه البلدان، أما خورشيد الذي كان في الحناكية آنذاك فقد عمل على تنظيم قواته وإعادة ترتيبها فأرسل إلى الرياض قوة جديدة ،تحت قيادة رجل كردي يسمى "ملا سليمان" ومعه "حسن المعاون" لتحل هذه القوة الجديدة محل قوة إسماعيل بك الذي انسحب، تحت إشراف حسن المعاون الذي عاد بصحبته إلى القصيم ومنها إلى مصر.[2]

ووفد على خورشيد في الحناكية،حيث كان جلوي بن تركي،لا يزال معه رؤساء قبائل جبل شمر،وقبائل حرب،وقبائل عنزة،وأهل الجنوب،المؤلفون من قحطان،و ،وقبائل الروقة، ومن السهل وسبيع التي وفد منها بنو عمر،وقبائل البدوي والشعراوي،وقبائل أبي ربيعان والروسان التابعة لعتيبه وأعلنوا ولاءهم له،والدخول في طاعته.[3] اشتغل خورشيد بعض الوقت باستكمال معدات "أورطني الآلاي" الخامس عشر، المكلف بالقيام بمهمة في نجد،وفي 3 صفر 1254هـ 28 إبريل 1838م، بدأ سيره من الحناكية نحو القصيم ومعه رئيس الإدلاء " حسن اليازجي " ،ومن معه من الجنود، وقسم جنوده إلى فريقين.[1]

الفريق الأول : مكون من الجنود المجهاديين، والمدافع والزاد والذخيرة، وسائر المهمات والعتاد ومائة من الفرسان.

الفريق الثاني : بقية الفرسان، ومشايخ العربان المنضمين إلى الحملة.

ونظم حركة الفريقين، بحيث يغادر الفريق الأول مراحة، كلما أدركه الفريق الثاني، فوصل يوم 14 صفر 1254هـ 9 مايو 1838م[2]، إلى الموضع الذي يقال له "العروس" وفي 15 صفر 1254هـ 10 مايو 1838م، وصل

---

(2) عبد الرحيم ، شبة الجزيرة ، ص304.

(3) حول هذه القبائل انظر عمر كحاله، معجم القبائل، من، ص149؛....261.

(1) عبد الرحيم، المرجع السابق، ج2، ص303.

(2) عبد الرحيم ،شبه الجزيرة،ص 304.

إلى قرية "كورية" على مقربة من "الرس"، حيث انتظم الفريقان في مجموعة واحدة[3].بدأ الجيش الموّحد مسيرته نحو الرس، في فجر 16 صفر 1254هـ 11 مايو 1838م، وفي الساعة الثالثة، وصل إلى قرية الرويضة الواقعة على بعد قليل من الجهة الشمالية من الرس، حيث استراح الجيش لمدة يومين، انضم إليه خلالها "بكر أغا" رئيس المشاة ،وفي 18 صفر 1254هـ 13 مايو 1838م، بدأ تحركه ووصل إلى الشبيبة[4] التي دون عنيزة، بخمس ساعات ،حيث قضى الليل ،وفي الصباح 19 صفر 1254هـ 14 مايو 1838م، بدأ تحركه ثانية، فوصل الغدير، على بعد ساعتين من عنيزة، ونزل بجيشه هناك وفضل خورشيد النزول في الغدير، دون عنيزة، لأن يحيى السليم رئيس عنيزة وبعض الأهالي، لم يكونوا قد أعلنوا له ولاءهم حتى ذلك الحين، رغم إعلان عبد العزيز أمير بريدة ورؤساء بعض البلدان القصيم ولاءهم لخورشيد.ولما علم يحيى بنزول خورشيد في الغدير، أرسل أخاه إلى خورشيد، فرفض خورشيد قبول وفادته، وأصرّ على مجيء يحيى بنفسه، وإلا فإنه سوف يتخذ ضد عنيزة مايقتضى به حسن التدبير، وإزاء موقف خورشيد هذا، لم يجد يحيى وأعيان عنيزة من سبيل سوى طلب الأمان، وإبدائهم الإستعداد لأداء ما يطلب منهم، فصالحهم خورشيد وأجابهم إلى طلبهم.[1]

---

(3) عبد الرحبم ، شبة الجزيرة ، ص305.

(4) الشبيبة : مزارع وآبار قديمة تقع إلى الشرق من "البدائع" وإلى الغرب من مدينة عنيزة، العبودي ، المعجم الجغرافي ،1196/1؛وذكرها الرحالة لوريمر بقولة: الشبيبة على بعد ثمانية أميال جنوب غربي عنيزة وانها منطقة تشتهر بزراعة القمح، لوريمر،دليل الخليج،ج 5،ص2684.

(1) دار الوثائق القومية ،محفظة (264)،عابدين، وثيقة(208)،زرقاء من خورشيد إلى القائد العام بتاريخ، 4ربيع الأول1254هـ،28مايو1838هـ.